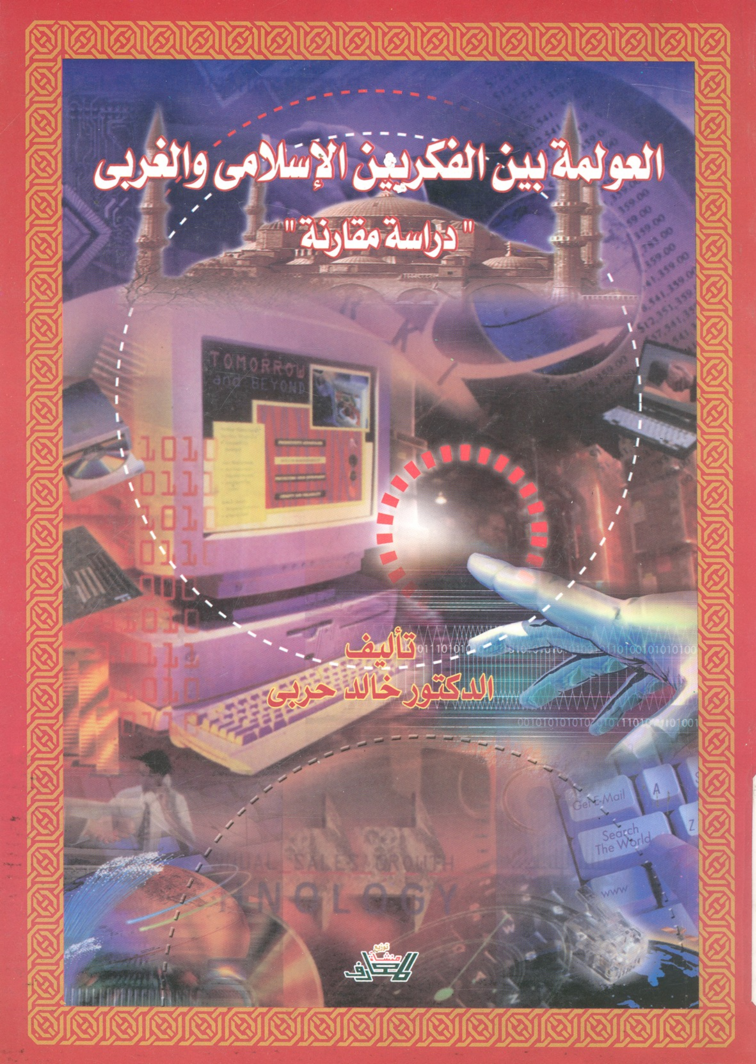

العولمة بين الفكريين الإسلامى والغربى
"دراسة مقارنة"
تأليف
الدكتور خالد حربى
TOMORROW
and BEYOND
Get E-Mail
Search
The World
www
منشأة المعارف

العولمة

بين الفكرين الإسلامي والغربي

العولمة بين الفكرين الإسلامى والغربي

" دراسة مقارنة "

تأليـــف

دكتـــور

خالد أحمد حسنين على حربي

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

الطبعة الأولى

توزيع منشأة المعارف

الإسكندرية

2003

بسم الله الرحمن الرحيم

- « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ».

(الحجرات، 13)

- « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »

(الأنبياء ، 92)

- « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

(الأنبياء 107)

- « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً . . . »

(سبأ، 28)

الإهـــداء

إلـــى

المفكر المصرى العربي الأصيل

ســامـــى خشبة

صاحب الفكر والثقافة "الجديدة"

خالد حربي

عنوان الكتاب : العولمة بين الفكرين الإسلامي والغربي

"دراسة مقارنة"

أسم المؤلف : د. خالد أحمد حربي .

رقم الإيداع بدار الكتب : 2003/4710.

الترقيم الدولى : 977-03-1133-2.

الناشر : المؤلف

الموزع : منشـــأة المعـــارف بالإســـكندرية . 4833303-

4854338-4843662.

الطباعة : الحضرى للطباعة بالإسكندرية

4944977

تاريخ النشر : 2003

مقدمة

عاش العالم فى القرن الماضى ظواهر عالمية، حُددت اصطلاحاً بمصـــطلحات معيـــنة عُرفت بها مِثلَ التغريب ، ثم الحداثة، ثم ما بعد الحداثـــة، وكـــل مصطلح من هذه المصطلحات مَثّل فترة زمنية محددة عاشـــها العالم فى القرن العشرين، وانتهت جميعها إلى مرحلة العولمة المتزامـــنة، والـــتى بـــدت فـــى افق العالم منذ العقد الأخير من القرن الماضـــى، وبالتحديد عند انهيار الاتحاد السوفيتي، وتفتته إلى جُمهويات ودويـــلات صـــغيرة، ممـــا أدى إلى انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بمعادلـــة القوة العالمية ، الأمر الذي جعلها تحاول فرض هيمنتها على العالم فدشنت مصطلح "العولمة" Globalization المزعومة ، وذلك فى عام 1991 حينما ظهر المصطلح فى قاموس اكسفورد.

ومن هنا بدأ العالم يستشعر ما ترمى إليه العولمة فى كافة مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية والثقافية، بل والدينية، وبدأت ردود الأفعـــال تختلف بين مؤيد ومعارض لهذه الظاهرة ذات الأهداف المحددة للسيطرة على العالم لصالح شريحة معينة منه.

ولذلـــك كـــثرت الكتابات التى تتناول "العولمة" فى غالبية دول العـــالم، المتحضر منه، والنامى، والملاحظ أن معظم هذه الكتابات قد هاجمت العولمة فى أغلب جوانبها، والغريب أن بعضها قد كُتب بأقلام كتّاب أمريكيين، وصدرت أعمالهم فى أمريكا صاحبة المبادرة بالعولمة،

ناهـيك عن الكتابات الأوروبية والتى وصفت إحداها العولمة بأنها "فخ" يريد أن يُوقع العالم فيه.

لكنـنا نتسـاءل ، لماذا ظهر مصطلح ومفهوم العولمة فى هذا الوقـت بالذات، وهل تُعَدُّ هذه الظاهرة وليدة العصر الحاضر ، أم لها سوابق مماثلة فى تاريخ البشرية ؟

الواقع أن ظاهرة العولمة ليست حديثة، بل هى قديمة، فقد مرت الإنسـانية بعدة مظاهر لها، وإن كان المصطلح نفسه "العولمة" لم يكن معروفاً، وإن اختلفت أيضاً أهداف بعض المحاولات عن أهداف العولمة المعاصرة.

وربما تكون محاولة الإسكندر الأكبر من أقدم المحاولات، فنحن نعلـم أن الإسكندر الأكبر تلميذ أرسطو حاول أن يجمع العالم كله تحت لوائه، تكملة لمسيرة أبيه "فيليب المقدونى"، وقد استطاع الإسكندر بالفعل أن يفـتح بلاداً كثيرة من العالم كونت امبراطورية مترامية الأطراف . ولكن الملاحظ أن مظاهر تلك الامبراطورية قد تمثلت فى نواحٍ ثلاث : أدبـية وعلمية وحضارية ، وليس أدل على ذلك من أن الإسكندر كان يصـطحب فى فتوحاته أكبر ممثلى العلم والأدب والفلسفة فى عصره، وقال الإسكندر لكاهن آمون فى مصر : **"إن الله هو أبٌ لجميع البشر".**

ويُعـــتقد أن هـــذا القول أول تصريح فى العالم لمبدأ أخوة البشر جميعهم ، ولكن تحت ظل نظام سياسي واحد، وهو النظام اليوناني.

ثــم يظهر هذا المبدأ بوضوح لدى الرومان الذين استطاعوا أن يكوّنــوا امبراطورية عظيمة ضمت العالم كله آنذاك ، حيث ساد مذهب الرّاوقيّيــن ورفعــوا شعارات تدعوا إلى المحبة والإخاء والمساواة بين البشر جميعاً. وتعد تلك المبادئ من صميم الفلسفة الرّواقيَّة والتى كانت عماداً لقيام عالم واحد تحت قيادة النظام السياسي الرومانى.

وعــندما جاء الإسلام، انطلق المسلمون بعقيدتهم صوب أرجاء العـــالم المختلفة ليوحدوه على **"لا إله إلا الله"** كما أمرهم ربهم **"إن هذه أمــتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون"** (الأنبياء، 92)، وبالفعل استطاع المســلمون – المتمســكون بالعقــيدة – فى أقل من قرن من إقامة دولة عظــيمة امتدت من الهند شرقاً إلى جنوب فرنسا والأندلس غرباً. وكان مبدأ تفاضل الناس أنه **"لا فضل لعربي على أعجمى إلا بالتقوى"**.

يمكـــن مما سبق تصنيف مظاهر العولمة التى عاشها العالم فى مـــراحله المخـــتلفة إلـــى نموذجين اثنين، الأولى هى العولمة الغربية، والأخـــرى العولمـــة الإسلامية، تتمثل الغربية فى نموذج الامبراطورية اليونانية بقيادة الإسكندر الأكبر ، ونموذج الامبراطورية الرومانية التى طبقـــت الفلســـفة الرّواقـــيَّة، بالإضافة إلى الأفكار السياسية لشيشرون وسينيكا ، وماركوس أوريليوس وغيرهم. وقد خدمت تلك العولمة قرون

طويلة حتى وجدت الفرصة تَسْنَحُ لها من جديد فقامت من ثُباتها الطويل لــتجد محاولة تفعيلها من جديد متمثلة فى النموذج الأمريكي المعاصر، مع تغيير بالطبع فى الوسائل، وطرق الوصول إلى الغايات.

أما نموذج العولمة الإسلامية فيتمثل فى الخلافة الإسلامية التى عاشـــها العالم فى العصور الوسطى، هذا النموذج الذي قام على أسس ومبادئ ، وغايات، تختلف تماماً عن مثيلتها الغربية سواء القديمة منها ، أم المعاصرة.

ومـــن أجـــل ذلك تأتى هذه الدراسة لتقف على أبعاد الاختلاف والاتفاق – إن وجد– بين النموذج الغربي للعولمة والنموذج الإسلامي، مع الأخذ فى الاعتبار أن النموذج الغربي المقصود هو النموذج الغربي المعاصـــر ، وكـــل ذلـــك بغرض الانتهاء إلى الفروق الجوهرية بين النموذجيـــن، وأيهما أصلح وأنفع للتطبيق على العالم، إن كان ولابد من "العولمة".

وفـــى ســـبيل ذلك تحاول هذه الدراسة الإجابة على بعض الفروض المنهجية التى تدور حولها، وهى :

1- هـــل استطاعت الأمة الإسلامية عندما امتدت خلافتها من الهند شـــرقاً إلـــى جنوب فرنسا والأندلس غرباً أن تقدم فعلاً نموذجاً للعولمة ؟

2- إذا كانـــت الإجابـــة على التساؤل السابق "بالإيجاب" ، فما هى عناصر وأركان هذا النموذج ؟

3- ما الأثر الملموس لتطبيق هذا النموذج على العالم ؟

4- مـــا هـــى عناصر النموذج الغربي المعاصر للعولمة ، وأيهما أصلح للتطبيق لخير وسعادة البشرية ؟

تلك هى الفرضيات الرئيسة التى تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها، وذلـــك باتـــباع المنهج التحليلي النقدى المقارن ، مع اللجوء إلى المنهج التاريخي كلما اقتضت الضرورة ذلك.

والله من وراء القصد وعليه التكلان وإليه المرجع والمآب.

خالد أحمد حربي

الإسكندرية فى 2002/7/1

المبحث الأول
عالمية الإسلام

يُعد دخول النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة، البداية الحقيقية والعملية لدعوة الإسلام العالمية. وقد بدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) بتأسـيس المسـجد – على التقوى – ليكون داراً للعبادة، وموطناً لنشر الرسـالة للـناس كافة، ومقراً لإدارة شئون الدولة. وكان أول ما بدأ به الحـاكم فـي دولته الوليدة، مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، كأخوة متحابيـن في الله، بالإضافة إلى إعلانه المساواة بين البشر جميعاً، فلا تمايز بينهم إلا بالتقوى دون أدنى اعتبار لأصل، أو جنس، أو نسب، أو شـرف، أو لون ... الخ، ثم كانت الخطوة المحورية والتاريخية التالية، والـتى كانـت بمثابة الأساس القوى المتين لبدء الدعوة العالمية، وهى إصداره (صلى الله عليه وسلم) للعهد النبوى الذي سمي "بعهد الموادعة" أو " وثيقة الموادعة" كأول دستور فى الإسلام، وادع فيه الرسول (صلى الله عـليه وسلم) جميع طوائف سكان المدينة، فلهم حقوقهم التى تكفلها لهـم الدولة، وفى المقابل عليهم واجبات تجاه هذه الدولة نظير تواجدهم بها كرعايا آمنين.

لقد اعترف النبي (صلى الله عليه وسلم) فى هذه الوثيقة صراحة بـتعايش الأديان المختلفة جنباً إلى جنب مع الإسلام. وكم يدرك المُطلع علـى بـنود الوثيقة [1] كيف تعمد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ذكر

---

(1) نص الوثيقة:

بسـم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي (صلى الله عليه وسلم) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة –

جميع الطوائف والجنسيات والأقليات الموجودة فى المدينة آنذاك، وكم يستشـعر مدى صلاحية الرسالة المحمدية للعالمين كما أرادها الله جلّ وعلا.

= واحـدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانـيهم (أسـيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معـاقلهم (دياتهم) الأولى، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين : وبنوا ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها فى بالمعروف والقسـط بيـن المؤمنين، وبنوالحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة مـنهم تفـدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأول، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنوا عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأول، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بيـن المؤمنيـن ، وبـنو النبيت على ربعتهم يتعاقولون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانـيها بالمعـروف والقسـط بين المؤمنين . وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولـى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وأن المؤمنين لا يـتركون مفـرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل. قال بن هشام ، المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال ، قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

وإن لا يحـالف مؤمـن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمناً فى كافر، ولا ينصر كافـراً علـى مؤمن، وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، فإن المؤمنين بعضهم موالى بعـض دون الـناس، وإنـه من تبع من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وأن سلم (جمع سلام) المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى=

لقـــد عمق الإسلام الوحدة بين المسلمين، وغيرهم من الأجناس الأخرى، تحت راية الدين الواحد، وفي ظل النظام الذى أقامه الرسول

=قتال فى سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضـــاً، وأن المؤمنيـــــن يبيء بعضـــــهم على بعض بما نال دمائهم فى سبيل الله، وأن المؤمنيـــن المتقين على أحسن هدى وأقومه: وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن، وأنه من اغتبط (قتل بلا جناية) مؤمناً قتلا عن بينه فإنه قود بـــه إلا أن يرضى ولى المقتول وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وأنه لا يحـــل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر محدثاً ولا يؤويـــه، وأنـــه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامه، ولا يؤخذ منه صـــرف ولا عـــدل، وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثـــم، فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته، وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عـــوف، وأن لـــيهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى ساعدة مثل ما لـــيهود بنى عوف، وإن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى ثعلبة ما ليهود بنى عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وأن لبنى الشطيبة مثل ما لـــيهود بـــنى عـــوف ، وأن البر دون الاثم، وأن موالى ثعلبه كأنفسهم، وأن بطانة يهود كأنفســـهم وأنـــه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأنه لا ينحجز على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظلم، وأن الله على أبر هذا، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الاثم، وأنه لم يأثر امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادموا محاربين، وأن يثرب حرام جوفها لأهـــل هـــذه الصحيفة، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأنه لا تجار حرمة إلا=

(صلى الله عليه وسلم)، هذا النظام الذى حمل بين طيّاته القابلية للتطور، وهــى أهــم الخصــائص الممــيزة للإسلام، وقد تميز هذا التطور من ناحيتين، الأولى أنه كان تدريجياً بطيئاً، الثانية أنه تجاوب مع ضرورات الظروف الاجتماعية والسياسية التى دفعت النبي (صلى الله عليه وسلم) إلــى تولى الشئون السياسية والعسكرية والدنيوية، وأن ينشئ الحكومة. ولقد أدت بيعة العقبة الأولى والثانية وما تلاهما من هجرة الصحابة من قلــة إلــى المدينة إلى ظهور المجتمع السياسي الإسلامي. والواقع أن البيعتيــن يمثلان نقطة تحول جوهرية فى تاريخ الإسلام، إذ أنهما كانا بمــثابة حجــر الــزاوية فى بناء الدولة الإسلامية وذلك بإقرارهما حق

=بــإذن أهلها، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأن الله على اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهما النصر على مــن دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونهم ويلبسونه ، وأنهــم إذا أدعوا إلى مثل ذلك فإنه له على المؤمنين ، إلا من حارب فى الدين، على كل الــناس حصــتهم من جانبهم الذي قبلهم، وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن هشام : ويقال : مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن اسحق : وإن البر دون الاثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [انظر ا بن هشام ، السيرة النبوية، دار التوفيقية للطباعة (د.ت)، جـ 2 ، ص 64-65].

المبايعة أو الاقتراع بالنسبة للرجال والنساء على السواء. وقد توافر بعد البيعتين والهجرة عنصران رئيسيان فى نشأة أى مجتمع، الأول عنصر التقـيد الإقليمـي، حيث أصبح للمسلمين أرض يؤمنون بها ويسيطرون علـى مواردهـا الاقتصادية التى تجعل لدى الأفراد نوعاً من الشعور بالتضـامن فـى تحقـيق الخـير العـام. والعنصر الثاني هو الضمير الاجـتماعى الـذى يعـنى الالتقاء القبلى والفكرى على غاية مشتركة. يضـاف إلـى ذلـك عنصر "السلطة السياسية" الذي توافر فى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفق ما دوّنه فى الوثيقة التى كتبها والتى أشارت إلى أن المسلمين أمة واحدة على اختلاف أشكالهم وأجناسهم وأنسابهم[1].

وقبل أن أدلف إلى تفاصيل وأدلة عالمية رسالة الإسلام، أود أن أشـير إلـى سـمة أو فضلية جدُّ عظيمة قام عليها المجتمع الإسلامي، والدولـة الإسـلامية الوليدة، وكانت عاملاً مهماً فى توسيع رقعة هذه الدولة، ألا وهى فضلية الإيثار.

الإيـثار فضـيلة مهمة – إن لم تكن أهم الفضائل – فى تأسيس وبـناء وقيام مجتمع يعمه الحب والإخاء. وكانت هذه الفضيلة من أولى

---

(1) راجع فى ذلك :

- عـبد الـرازق السـنهورى، فقه الخلافة وتطورها، ترجمة نادية السنهورى، ط الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992.
- محمـد ضـياء الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ط الرابعة، دار المعارف 1967.

الفضـــائل التى ارتكز عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) فى بناء دولة الإســـلام الأولــــى بالمديـــنة. وكان الأنصار أول من استجابوا للرسول (صـــلى الله عليه وسلم) إلى الدرجة التى معها نزل فيهم قرآنٌ يتلى إلى يـــوم الدين "**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**" [1]، فصار يضـــرب بهم المثل فى الإيثار والتضحية، ولِمَ لا والأنصارى آثر أخيه المهاجر علـى نفسه بماله وبيته، بل وبزوجته !.

ومـــن أعلـــى مراتـــب الإيثار أن يكون حب الله، وحب رسوله (صـــلى الله عليه وسلم) أحب إلى المسلم مما سواهما، وإن كانت نفسه الـتى بين جنبيه. وتظهر محبة العبد لربه بقيامه بطاعته وفعل أوامره، وتـــركه لمعصـــية الله واجتـــناب نواهيه، وكذلك الحال بالنسبة لمحبة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فهى تظهر باتباعه والاقتداء به، وذلك دلـــيل إيثار محبة الله كما قال سبحانه وتعالى :" **قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّـــبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**"[2]. وتظهر ثمـــة الإيـــثار أيضـــاً فى علاقة المسلم بأخيه، وللعلاقات الإنسانية فى الإسلام وضعها الكريم ووزنها المهم، وهى أحد المبادئ الأساسية الهامة التى وجهت على أثرها رسالة الإسلام إلى الإنسانية جمعاء.

---

(1) الحشر، 9.

(2) آل عمران ، 31.

فالديـــن الإسلامى لم يكن مقتصراً على العرب وحدهم ولا على مديـــنة محـــددة، ولا على أمة معينة. كما أن القرآن لم يميز طائفة من البشــــر علـــى غيرها كما فعلت التوراة حينما ميزت بنى إسرائيل. إن الدعـــوة الإســـلامية دعـــوة كلية، وعامة أو هى فى كلمة واحدة دعوة عالمية. حقاً لقد قرر القرآن أن بني الإنسان طوائف ودرجات وطبقات، ولكـــن الـــناس جميعهم رغم هذا متساوون تماماً أمام الله وأمام القانون الإلهى، لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لغنى على فقير، ولا لأبيض علـــى أســـود إلا بالتقوى والعمل. فالناس جميعاً إخوة أسوياء مصدرهم واحد ومصيرهم واحد، ورجوعهم فى آخر الأمر إلى نفس هذا المصدر الواحـــد، هـــذا ما أعلنه القرآن وأوضحته آياته البيانات **"إنا أنزلنا إليك الكـــتاب بـــالحق لِـــتحكم بيـــن الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصـــيما"**[1]. قانون واحد إذن هو الذى يحكم العالم بأسره، هو القانون الإلهى الخالد، والصادر عن حاكم أوحد للعالم بأسره وهو الله عز وجل، وجعـــل تنفيذه لرسوله الكريم النبى ورئيس الدولة الإسلامية، وفى نفس الوقـــت رسول العالمين. لم تكن خطوط الدولة إذن المرسومة فى كتاب الله هـــى خطـــوط دولة مدينة City State كتلك التى أشاد وتمسك بها الإغـــريق القدامـــى، ولـــم تكـــن هذه الخطوط خطوط الدولة القومية National state المحـــددة تاريخـــياً وثقافة ولغة .. إلخ، كما لم تكن خطـــوط هذه الدولة هى خطوط الإمبراطورية التى تتسع فوقها الأقاليم

---

(1) النساء ، 105 .

ولا تعـــترف بالحدود لأن الإمبراطورية كان يتزعمها إمبراطور دنيوى يحكـــم بالـــبطش والسلاح، إنما كانت الخطوط متجهة مباشرة إلى رسم دولـــة عالمـــية يسودها الإخاء والود والمحبة، وتلتزم بالقوانين الإلهية وتدعـــم مبادئ الأخلاق وتقيم المساواة الحقيقية بين الناس[1] فى الحقوق والواجبات، والتى شرعها مُشرع القانون الذي يعلم مصالح العباد وهو الله تبارك وتعالى.

رســـم رســـول الله (صـــلى الله عليه وسلم) للدنيا أعظم صورة إنسانية بكل ما فى كلمة الإنسانية من معان خالدة[2]: فالرجل الذى عاش فـــى بيئة رجعية معلقة على التقاليد العصبية العمياء، يقف أمام كل هذا ليرده إلى الحرية والمساواة، ويعلن فى صراحة تطبيق لما جاء به" **كُلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمى إلا بالتقوى[3]**"، وفى ضـــوء هذه القوة الرحيمة وغيرها من المبادئ، أقام مجتمعه الإسلامى كـــنموذج موجـــه إلـــى الإنســـانية كلها، والعالم كله، فلم يخص قومه بالرســـالة، ولـــم يجعـــل لهـــم ميزة على سواهم، بل جعل الناس كلهم

---

(1) راجـــع ، د.علـــى عـــبد المعطى محمد ، د. محمد جلال شرف ، الفكر السياسى فى الإسلام شخصيات و مذاهب ، دار المعرفة الجامعية 2000 ، ص 102 -104 .

(2) راجع، السعيد الشربيني الشرباصي، مذاهب وشخصيات، القاهرة (د.ت) ص 104- 105.

(3) رواه الشـــيخان، البخارى ومسلم فى صحيحيهما، والترمذى، وابن ماجة، وابى داود فى سننهم.

سواسية، وبينما هو يرسي قواعد هذا الإخاء وتلك المساواة كما ستنطق به الآية الكريمة، كان العالم يغشاه كابوس من النزعات الانفرادية التى تدين بالقوم وبالجنس وبالوطن "**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**"[1]. ولم يكن هذا المبدأ مجرد شعارات تردد، تهدف إلى أغراض باطنية أو مطوية، بـــل هـــو حقيقة واقعة، ومن الأمثلة الدالة على ذلك أن صحابياً جادل رجـــلاً زنجـــياً واحـــتد علـــيه حتى قال له فى معرض كلامه : يا ابن الســـوداء، فلمـــا علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: **له أعيرته بسواد** أمه؟ قال : نعم يا رسول الله، فغضب الرسول غضباً شديداً وقال: " **طف الصاع، طف الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بتقوى الله أو بعمل صالح**"[2]. وقد قُرن هذا الكلام بالتصديق، فتقدم العبـــيد والموالـــى الصـــفوف فى كثير من الأحايين كبار الصحابة من القرشـــيين وغير القرشيين. وعلى ذلك كانت تعاليم الإسلام موجه إلى تنمية العلاقات الودية بين البشر جميعاً

لقـــد وضـــع الإسلام بمبادئه السمحة نظاماً للتعاون والمواساة، نظاماً لم يوجد من قبل، ولا يمكن أن يستغنى عنه البشر فى أى عصر مـــن العصـــور، فلكى تضمن البشرية السعادة والطمأنينة، لابد من أن

---

(1) الحجرات ، 13.

(2) رواه بن ماجة فى سننه، وقال أحمد حديث حسن.

يعطــف القـــوى على الضعيف، ما دامت طبيعة الحياة والمجتمع الذي يعــيش فيه بنو البشر قد اقتضت أن يتجاور القوى والغني مع الضعيف والفقير، ففى المجتمع تجد البعض يعيش فى رفاهية، بينما يعيش البعض الآخــر علـــى الكفاف، وتلك هى سنن الخليقة التى لا افتعال فيها، إنما يتســـرب الشقاء إلى الناس عندما يعيشون متقاطعين لا يعرف كل منهم إلا نفســـه ومطالـــبه فحســـب، مع أن الله عز وجل خلط الناس بعضهم بـــبعض، وجعـــل هـــذا الاختلاط على اختلاف الأحوال اختباراً صعباً لـــيمحص الله بـــه قلوبهم وإيمانهم بالقضاء والقدر، وليجزى به الشاكر الصـــبور، ويعاقب الجاحد الجزوع. وفى الإسلام شرائع محكمة لتحقيق هـــذه الأهـــداف النبيلة، من بينها تنشئة النفوس على فعل الخير وإسداء العـــون وصـــنع المعـــروف، ونـــتائج هذه التنشئة السمحة لا يسعد بها الضـــعاف وحدهم، بل يرتد أمانها واطمئنانها على المجتمع بأسره، بل وعلى الإنسانية كلها.

فالمجـــتمع الإســـلامى مجتمع عالمى[1] بمعنى أنه مجتمع غير عنصرى ولا قومى ولا قائم على الحدود الجغرافية، فهو مجتمع مفتوح لجميع بنى الإنسان، دون النظر إلى جنس أو لون أو لغة، بل دون نظر إلى دين أو عقيدة. والإسلام ينفى منذ اللحظة الأولى كل نعرة جنسية أو

---

(1) ســيد قطـــب ، نحـــو مجتمع إسلامى ، دار الشروق ، الطبعة الثامنة 1408 هـــ – 1988 م ص 92 .

عنصرية، فيرد البشرية كلها إلى أصل واحد، ويقرر أن لا فضل لجنس فــيها علـــى جنس، ولا ميزة لعنصر فيها على عنصر، ولا لاختلاف الألوان كما أشارت الآية والحديث السابقين.

ونظام العالمية نظام ينادي به الإسلام لا يُحد بأرض أو جنس أو لغـــة أو لون، فهو قائم على مبدأ الإنسانية العالمية، ولا ينافى القومية، بمعنى حنين الإنسان إلى قومه وإن قصرها على حدودها الفطرية، كما لا ينافى القومية القائمة على حب الوطن والعلم فى سبيل إسعاده ورقيه، دون مساس بمصالح الآخرين ومشاعرهم وحقوقهم، ويؤمن بالاستقلال القومـــى الـــذى لا يرغم الإنسان على الاحتجاز فى مناطق ضيقة من أقطـــار الأرض يصـــعب اجتيازها والخروج منها إلى الأفق الإنساني العـــام، ويـــنكر سيطرة شعب على شعب بدافع من الأنانية والاستعلاء والأثرة[1].

جمع الإسلام قبائل العرب تحت لوائه، وألَّفَ بين قلوبهم، وقضى علـــى العصـــبية الجاهلية، فزالت الحزازات القديمة والثأرات التى بين القبائل، فخضعوا لحكم النبى وأوامر القرآن بعد أن كانوا يدينون لرؤساء متفرقيـــن وبذلك قامت فى بلاد العرب حكومة مركزية محترمة عزيزة الجانـــب، وكـــان حماس العربى للإسلام وولاؤه له لا يقل عن حماسه لوثنيته واستبساله فى الذود عنها، ومن ثم بذل النفس والنفيس فى سبيل

---

(1) أبو الأعلى المودودى، الإسلام والمدينة الحديثة، طبعة القاهرة 1978، ص 34.

نشر الدين وحمايته حتى دانت قبائل العرب وأصبحت ترى فى الإسلام رمـــز وحدتهـــا وشعار مجدها، وقد حملهم على الاستماتة فى نشر هذا الدين الجديد ما ضمنه لهم من حسن ثواب الدنيا والآخرة[1] قال تعالى : **"ولا تحســـبن الذيـــن قـــتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله"**[2].

فلقد تخطت القوانين الأخلاقية التى جاء الإسلام بها حدود القبيلة التى ولد النبى (صلى الله عليه وسلم) بين ظهرانيها فأشعر بلاد العرب كلهـــا معـــنى جديداً للوحدة، ووضع لها أفقاً للتعاون والولاء أوسع مما عرفته من قبل "**إنما المؤمنون إخوة** "[4]. وقللت العقيدة ما بين الطبقات والأجـــناس مـــن فروق، وفى ذلك يقول النبى (صلى الله عليه وسلم): **"اســـمعوا وأطـــيعوا وإن اســـتعمل علـــيكم عـــبد حبشـــى كأن رأسه زبيـــبه .. "**[5]. ويعلـــق ول ديورانت على ذلك بقوله[6]: تلك بلا مراء

---

(1) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى و الدينى و الثقافى و الاجتماعى ، دار الجـــيل بـــيروت ، مكتـــبة النهضة المصرية ، ط الرابعة عشر 1416 هـــ – 1996 م ، الجزء الأول ، ص 158 .

(2) آل عمران، 169 .

(4) الحجرات ، 10 .

(5) حديث صحيح، رواه البخارى و مسلم فى صحيحهما، والإمام أحمد فى مسنده .

(6) ول ديورانـــت ، قصـــة الحضـــارة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2001 ، المجلد السابع، عصر الإيمان ، ترجمة محمد بدران ص 65 – 66 .

عقـيدة نبيلة سامية ألفت بين الأمم المتباينة المنتشرة فى قارات الأرض فجعلت منها شعباً واحداً.

والواقـع أن الإجهـاز على الاستعمار الرومانى ومحو مظالمه وظلماته ما كان يقدر عليه أبداً إلا هذا الجيل الذى رباه محمد (صلى الله عليه وسلم)، إن القدرة النفسية والعقلية على المحو والإثبات انتقلت من صـاحب الرسـالة العظمـى إلى الرجال الذين تبعوه، فإذا هم يغسلون الأرض مـن أدرانهـا لتنشـأ علـيها أمم من طراز جديد. وقد روى الشـيخان[1] حديـثاً يضـرب المثل لهذه القدوة الفائقة، فعن أبى سعيد الخدرى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال: **" يأتى على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من صاحب رسول الله (صلى الله علـيه وسـلم) ؟ فيقولون: نعم ! فيفتح لهم. ثم يأتى على الناس زمـان فـيغزوا فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فيقولون نعم: فيفتح لهم. ثم يأتى علـى الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم".** وقـد كانت الحكمة القرآنية هى التى تولت صيانة المسلمين على النحو الـذى بلغوه، وهذا مثال على ذلك، يقول تبارك وتعالى: **" ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**

---

(1) رواه البخارى و مسلم فى صحيحيهما.

ولا تَمشِ في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة "[1]. فهذه الحكمة التى ألفها صاحب الرسالة هى التى جعلت أتباعه ربانيين يدخلون البلاد لحساب السماء لا جريا وراء الحطام، ويحيون لله لا لطبائع الأثرة والاستعلاء[2] الباطل على عباد الله.

وحين يزيل الإسلام تلك الحواجز الجغرافية أو العنصرية التى تقوم عليها فكرة الوطن القومي، فإنه لا يلغى فكرة الوطن على الإطلاق، إنه يبقى على المعنى الطيب وحده لهذه الفكرة، معنى التجمع والتآخى والتعاون والنظام، ومعنى الهدف المشترك الذى تلتقى عليه الجماعة من الناس، فيجعل الوطن فكرة فى الشعور لا رقعة من الأرض، هذه الفكرة يجتمع فى ظلها الناس من كل جنس ولون وأرض، فإذا هم أبناء وطن واحد، وإذا هم إخوة فى الله، وإذا هم متعاونون على ما فيه خيرهم وخير البشرية جميعا، وتلك الفكرة هى الإسلام[3] وذلك مصداقاً لقوله تعالى: " **إنما المؤمنون إخوة** " [4] وقول رسوله الكريم: " **المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا**"[5]، و" **مثل**

---

(1) الإسراء ، الآيات 36 – 39 .

(2) راجع، محمد الغزالى، علل و أدوية، ط الثانية، القاهرة 1405-1984، ص 139- 140 .

(3) سيد قطب ، مرجع سابق ، ص 96 .

(4) الحجرات ، 10 .

(5) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وقال أحمد : حديث حسن. .

المؤمنيـــن فـــى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "[1] .

وتـــبعاً لإزالة حواجز الجنس واللون واللغة، يزيل الإسلام تلك الحواجـــز الجغرافية التى تقوم بين شعوب الأرض وتخلق ذلك الشعور القومـــى الحـــاد، وتعمل بذلك على خلق المنافسة الخطرة بين القوميات المتبايـــنة، وتـــؤدى فى النهاية إلى التكالب الاستعمارى، الذى هو فى صميمه استغلال أمة لأمة، أو جنس لجنس، أو وطن لوطن، وبديهى أن الواقـــع الأول للصـــراع الاســـتعمارى فـــى ذلك العصر الحديث كان هوشـــعور القومية الحاد، للتمييز بين تلك الحدود الإقليمية، ورغبة كل دولـــة فـــى أن تجـــد الشعب المنعزل الذى تمثله مجالاً حيوياً لاستمداد الخامـــات والمـــوارد البشرية، ولتصريف المنتجات والغلات الفائضة. وبديهى أيضاً أن الحروب الحديثة كلها قد قامت على هذا الأساس، وأن الشـــر الـــذى أصاب البشرية فى الحربين الماضيتين، والذى يوشك أن يدمرها فى الحرب المقبلة، قد نشأ من ذلك الشعور القومى الحاد، ومن ضـــعف الـــروح العالمـــية والروح الإنسانية [2] التى تحتاجها البشرية جمعاء.

---

(1) رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي فى سننهم .

(2) سيد قطب ، مرجع سابق ص 94 .

فالدين الإسلامى هو آخر الأديان التى أُنزلت على الرسل، أنزله الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ليكون نظاماً كـاملاً لحـياة الفرد وحياة الجماعة. وقد أُنزل للناس كافة، ولذلك جاء صـالحاً لكـل زمـان ومكان. يقول جل وعلا:" **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** "[1] جاءت رسالة الإسلام جامعة شاملة، وجاء مالا يخـتلف باخـتلاف الزمان والمكان بها مثل العقائد والعبادات والأحكام القطعـية واضـحة ومفصـلة تفصيلاً تاماً بالآيات العديدة الشارحة له وبالسـنة النـبوية الصحيحة وليس فيه اجتهاد ولا تغيير. أما ما يختلف باخـتلاف الـزمان والمكان فقد جاء يحتاج لاجتهاد العلماء حسب كل عصر. والأمة الإسلامية أمة واحدة يقول الله تعالى:" **إن هذه امتكم أمة واحـدة وأنـا ربكم فاعبدون** "[2]، وأمة الإسلام أمة واحدة بمعنى أنها واحـدة فـى ديـنها وثقافتها واقتصادها وقواعدها ونظمها الاجتماعية، وواحدة فى مفاهيمها السياسية وغيرها من النواحى الحضارية .

يقـول الإمام محمد عبده[3]: الإسلام دين هداية وسياسة وحكم، لأن مـا جـاء من إصلاح البشر فى جميع شئونهم الدينية، ومصالحهم الاجتماعية والقضائية يتوقف على السيادة والقوة، والحكم بالعدل، وإقامة

---

(1) سبأ ، 28 .

(2) الأنبياء ، 92 .

(3) محمـد رشـيد رضـا، تفسير المنار للإمام الشيخ محمد عبده، مطبعة المنار القاهرة 1346هـ - 1927، جـ 11، ص 264.

الحق، والاستعداد لحماية الدين والدولة، فهو لم يأت محدداً طقوساً تنظم العبادات وعلاقة الإنسان بربه فقط، أو نظاماً مبيناً لقواعد الأخلاق والسلوك فحسب كما جاءت شرائع أخرى سابقة.

فإذا تأملنا الرسالات السابقة على الإسلام، لم نجد فيها العناصر والمقومات التى من الممكن أن تضمن البقاء لأى منها، أو تدفع الناس إلى التمسك بها، حيث اتسمت هذه الرسالات بالمحدودية فى المنهج وبالأطر الزمانية والحدود المكانية، مما يعوق فاعلية انتشارها وخلودها وعالميتها. وكلما جاء رسول كان يبشر برسالة تأتى من بعده، وكانت الرسالتان الأخيرتان على يقين من مجيئ خاتم الأنبياء والمرسلين الذى يرسى قواعد الحياة على أساس متين، ومن هنا وجدت البشارات بمحمد (صلى الله عليه وسلم) فى كتب اليهود والنصارى." **وإذا قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى أسمه أحمد"[1]." الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والأنجيل"[2]** وقد دل وجود هذه البشارات، على أن هذه الرسالات السابقة لم تحمل العناصر التى تضمن لها الاستمرارية والعالمية، التى هى من صميم رسالة الإسلام، والله عز وجل من رحمته ورعايته للبشر، أراد أن يقدم

---

(1) الصف ، 6 .

(2) الأعراف ، 157 .

لهم كل ما يحتاجون إليه من تعاليم تحقق للإنسان ما يكفل له الحياة الكريمة على كل المستويات الفردية والاجتماعية [1].

فشريعة الإسلام[2]: هى شريعة الخلود، باقية إلى قيام الساعة، لا يطرأ عليها نسخ أو تغيير. ولذلك وجب أن تكون وافية بجميع الأحكام والقوانين التى تحتاج إليها الأمم فى تدبير شئونها، وتنظيم حياتها، صالحها لمسايرة هذه الحياة فى جميع تطوراتها ومراحل تقدمها ورقيها، تزودها فى كل عصر وفى كل جيل بما يكفل لها السعادة ويسبغ عليها السلام والأمن.

والعقيدة اليهودية على سبيل المثال – تتميز بأن المطلق فيها ذاتى، فى حين أن المطلق بطبيعته شامل وعالمى، ويتخطى حدود الزمان والمكان، لأنه لو تقيد بها لفقد إطلاقه، ولكن مطلقات اليهود مقصورة عليهم وحدهم، ولذا فهى تكتسب طابعاً قومياً، فيصبح المقدس – المطلق – هو النسبى القومى، واليهود لا يعتبرون أنفسهم جماعة عقائدية فحسب، وإنما جماعة " قومية " أيضاً لها لغتها الخاصة، وتراثها العقائدى القومى الخاص. وعبر التاريخ كانت الأقليات اليهودية

---

(1) راجع ، سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة فى الإسلام ، الزهراء للإعلام العربى ، ط الأولى 1986 ، ص 202 – 203 بتصرف.

(2) د. عبد الرحمن تاج الدين، السياسية الشرعية والفقه الإسلامي، طبعة القاهرة 1952، ص46.

المتــناثرة " خاصـــة فى أوروبا " ترى أنَ ثَمةَ رابطة عرقية أو قومية تربطها، وثَمةَ أفكاراً عقائدية يهودية أخرى مثل فكرة " الشعب المختار " أو الإيمان بأن الشعب اليهودى شعب مقدس، ساهمت فى تعميق عزلة الــيهود، حتى أن الدارس لطقوس العقيدة اليهودية يجد أنها تنمو بشكل حاد نحو تأكيد الانفصال عن الأغيار، لأنهم رأوا خصوصية الإله " يهوا " علـــى أبــناء اليهود، وأن ولاءهم لهذا الإله، لا يمكن أن يشركهم فيه غيرهم، وتوارثوا هذه العصبية على مر الأجيال، حتى وصل بهم الأمر إلـــى اعتـــبار غير اليهودى، أمياً نسبة إلى العامة لا الخاصة [1] الذين يمثلونها هم وحدهم .

ألم يلبث نوح عليه السلام تسعة قرون ونصف ليصلح قومه دون جدوى ؟ ألَمْ يُخلِفْ موسى عليه السلام فى قومه نحو ثلاثمائة نبى ظلوا كذلـــك ألـــف عـــام ليصلحوا بنى إسرائيل، فلما تعذر صلاحهم تحولت رســالات الســماء عنهم إلى الأبد ؟ لكن محمد (صلى الله عليه وسلم) بعناية الله استطاع أن يغير الجزيرة العربية تغييراً حاسماً، وخلال ربع قــرن أو أقل تبدلت الأرض غير الأرض، فإذا البقاع التى ظلت دهراً عطشى استحالت إلى حضارة تفيض بالحياة والعطاء والعدالة والرحمة، وإذا أبناء البوادى يعلّمون أبناء روما وأثينا والمدائن حقوق الإنسان، ومعالم الحضارة، وضوابط المعرفة. فلقد غير الإسلام العرب فى فترة قصيرة

---

(1) راجع سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة فى الإسلام ، ص 203 – 204 .

ثم غيروا العالم بعد ذلك تغييراً جذرياً، ولم يكن لهذا التحول الشامل أداة إلا الأسـوة الحسنة. قال مالك بن أنس: " بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصـحابة رضى الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين "[1] .

ولكـن الحق بالنسبة لجميع الشرائع واحد وهو الإيمان،والقضية الأساسية مشتركة: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والقيم الأخلاقية واحـدة: التمسك بالحلال وترك الحرام وفعله، ومن الأدلة على أن دين الأنبياء واحد ما يلى[2] :

قـال الأمام أحمد: قال يهودى لصاحبه: أذهب بنا إلى هذا النبى حـتى نسأله عن هذه الآية: " **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات** "فقال: لا تقـل له شـيئاً، فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين، فسألاه: فقال النـبى (صلى الله عليه وسلم): **لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرفوا، ولا تـزنوا، ولا تقـتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق، ولا تسحروا، ولا تـأكلوا الـربا، ولا تمشـوا ببرئ إلى ذى سلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصـنة، وأنتم يا معشر يهود عليكم خاصة: أن لا تعدوا فى السبت.** قـال: فقبلا يديه ورجليه، وقالا: نشهد أنك نبى، قال الرسول (صلى الله

(1) راجع محمد الغزالى ، علل و أدوية ، ص 135 – 139 .

(2) راجع ، عصام الدين محمد على ، جذور الحضارة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، 1983 ، ص 166 و بعدها .

علـيه وسلم): **فما يمنعكما أن تتبعاني ؟** قالا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يـزال مـن ذريته نبى، وإنا نخشى أن أسلمنا أن تقتلنا يهود[1].

والجوانب الأخلاقية والاجتماعية، لدى أهل الكتاب جميعاً واحدة، لأنها مـنزلة من عند الله سبحانه وتعالى ولا خلاف فيها أو بينها، وإنما يأتى الخـلاف من جحود وإنكار أتباع الأنبياء الذين سبقت شرائعهم الشريعة الخاتمـة وكلهـا جـاءت بـالحق الظاهر يقول تعالى: " **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمـرهم بالمعـروف ويـنهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمـنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون** "[2] .

وفى آخر السفر الخامس، وهو آخر التوراة، يُذكر أن الله تعالى جـاء طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران وظهر مـن ربـوات قدسـه: عـن يمينه نور، وعن شماله نور، عليه تجتمع الشعوب. أى أن أمر الله تعالى وشرعه جاء من طور سيناء وهو الجبل الذى كلم موسى عليه السلام عنده وأشرق من ساعير: وهى جبال بيت المقدس المحلة التى كان بها عيسى بن مريم عليه السلام. واستعلن أى

---

(1) رواه الـترمذى ، و النسائى ، و ابن ماجه ، و ابن جرير ، و الحاكم ، و البيهقى، و قال الترمذى حسن صحيح.

(2) الأعراف 157.

ظهر وعلا أمره من جبال فاران، وهى جبال الحجاز، ولم يكن ذلك إلا علـــى لسان محمد (صلى الله عليه وسلم)، فذكر الله سبحانه وتعالى هذه الأماكـــن الـــثلاثة على الترتيب الزمانى فى الحدوث: محلة موسى، ثم موطـــن عيسى ثم بلد محمد وأقسم تعالى بثلاثتها: " **والتين والزيتون** " أى محلة بيت المقدس، حيث كان عيسى عليه السلام. " **وطور سينين** " وهو: الجبل الذى كلم الله موسى عنده. " **وهذا البلد الأمين** " وهو البلد الذى ابتعث منه محمد (صلى الله عليه وسلم). وبذلك ينسَخُ الله سبحانه وتعـــالى الشـــرائع بالشريعة الإسلامية الجامعة، ويلقى إلى نبيه بعلوم ومعـــارف عـــن شرائع الأولين لتكتمل له صفة الجمع بين هذه الأمور كلها، وليتمكن من الرد على المكذبين والمنكرين عن يقين ودراية .

وفـــى " زبور " داود عليه السلام صفة هذه الأمة المسلمة وفيه مثل ضرب لمحمد (صلى الله عليه وسلم) بأنه " ختام القبة المبنية " ولقد ورد هـــذا الحديـــث فى الصحيحين[1]: " **مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجـــل بـــنى داراً فأكملها، إلا موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون بها ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة** " ؟

إن الإســـلام يـــنادى بنفسه رسالة عالمية للبشر كافة، فلم يجيئ محمـــد (صلى الله عليه وسلم) رسولاً لقريش ولا لعرب الجزيرة، ولا للجـــنس الســـامى - كما جاء المسيح (عليه السلام) لهداية خراف بنى

---

(1) رواه البخارى و مسلم .

إســرائيل الضــالة – كما قال – أما محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد أُرسِـل محمـد إلـى البشر كافة فى أقطار الأرض جميعاً كما قال الله تعالى: " **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** "[1]. والإسلام يعد نفســه خـيراً وبـركة ورحمة للناس جميعاً: " **وما أرسلناك إلا رحمة للعالميـن** "[2]. " **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** "[3]، فتبعاً لنظرة الإســلام الإنســانية، فإنــه يريد للبشرية كلها أن تنعم بخيره ورحمته وهدايــته، ولا يــريد أن يكون هذا وِقفاً على قوم أوجنس، على طريقة اليهود مثلا .

ومن هنا يقرر الأخوة الإسلامية التى تقوم مقام الجنس ، بل مقام الدم ومقــام النسب: " **ولا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أوأبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم** "[4]، و" **قــل إن كــان آبــاؤكم، وأبناؤكم، وإخوانكم، وأزواجكم وعشيرتكم وأمــوال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهــدى القــوم الفاسقين** "[5]. ويقول الرسول (صلى الله عليه

---

(1) سبأ 28 .

(2) الأنبياء107.

(3) المجادلة 22.

(4) المجادلة ، 22 .

(5) التوبة ، 24 .

وسلم): " إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال: " هم قوم تحابوا بروح الله بينهم على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله عن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس "[1] .

ففي المجتمع المتحاب بروح الله، الملتقى على شعائره، يقوم أخاء العقيدة مقام أخاء النسب، وربما طغت رابطة الإيمان على رابطة الدم، والحق أن أواصر الأخوة فى الله هى التى جمعت أبناء الإسلام أول مرة، وأقامت دولته، ورفعت رايته، وعليها اعتمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى تأسيس أمة صابرت هجمات الوثنية الحاقدة وسائر الخصوم المتربصين، ثم خرجت بعد صراع طويل وهى رفيعة العماد وطيدة الأركان[2].

والإخاء الإنساني من أنواع اليسر، حيث إن اليسر فى الإسلام له دلالات متنوعة، فالبر يأتى بمعنى الصلة، والرحمة، يقول الله تعالى :" **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن**

---

(1) أخرجه أبو داود فى سننه .

(2) محمد الغزالى ، خلق المسلم ، طبعة القاهرة (د.ت) ، ص 176.

الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون" [1].

لقــد بين الله سبحانه وتعالى للمؤمنين فى هاتين الآيتين القاعدة التى يسيرون عليها فى مودتهم وصلتهم، وفى عداوتهم ومقاطعتهم لغير المسلمين، فهما يرسمان المنهج الذي يجب أن يسير عليه المسلمون مع غيرهم، وهو أنه من لم يقاتل المسلمين من الكفار، ولم يعمل أو يساعد على إلحاق الأذى والضرر بالمسلمين، فلا بأس من بره وصلته وإحسان معاملاته وتكريمه، والقضاء إليه بالعدل، وعدم الجور عليه فى حكم من الأحكــام، أمــا من قاتل المسلمين أو حاول إيذاءهم، أو ساعد وعاون الأعداء على قتال المسلمين أو إخراجهم من أرضهم ، أو إلحاق الضرر بهــم، فعلى المسلمين أن يقطعوا صلتهم بهم، وأن يتخذوا جميع الوسائل لــردعهم وتأديــبهم حــتى لا يتجاوزوا حدودهم مع المسلمين، وأن من يــبرهم مــن المســلمين ويصلهم – وهم على تلك الحالة – فقد ظلموا أنفســهم ظلماً شديداً يستحقون بسببه العقاب الذي أوضحه الله جل وعلا فى كتابه.

ومــن ثــم فإن هذه المبادئ الإسلامية فى المعاملات البشرية، تــتعارض مــع مبدأ صراع الطبقات تعارضاً شديداً، هذا المذهب الذي يقــوم على بعث الحقد والكراهية فى نفوس العمال ضد أصحاب العمل

---

(1) الممتحنة ، 8-9.

وفـــى نفــوس الأميين ضد المثقفين، وفى نفس كل خامل ضد النابهين، وفـــى نفوس العاطلين ضد العاملين، والمذهب الذي يثير اضطراباً فى جو العمل، وفى جو الطلبة، وفى جو النقابات، إنما هو مذهب يتعارض جذرياً مع الجو الإسلامى، ذلك المذهب الذى يتعارض مع مبادئ الإخاء الإنساني كما يجسدها الإسلام الحنيف[1].

ومـمـــا اتخـــذه الإســـلام لصيانة الأخوة العامة، ومحو الظروف المصـــطنعة، تأكـــيد التكافؤ فى الدم والتساوى فى الحق وإشعار العامة والخاصـــة بأن التفاخر بالإنسان باطل، فما يفضل أحد صنوه إلا بميزة يحرزها لنفسه بكده وجده، فمن لا امتياز له بعمل جليل لم ينفعه إسلامه ولـــو كانوا ملوك الآخرة. فعن أبى هريرة، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " **إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي: ألا إنى جعلت نسباً وجعلتم نسباً فجعلت أكرمكم أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا: فلان بن فلان فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم** "[2] وهذا مصداق قوله تعالى :" **فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ٭فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون** "[3].

---

(1) على جريشة ، نحو نظرية للتربية الإسلامية، ط أولى ، القاهرة 1986، ص 27.

(2) رواه الترمذى فى سننه.

(3) المؤمنون ، 101- 102 .

وقـــد حـــارب الإسلام هذه الأثرة الظالمة بالأخوة العادلة وأفهم الإنســـان أن الحياة ليست له وحده وأنها لا تصلح به وحده، فهناك أناساً مـــثله، أن ذكـــر حقـــه علـــيهم ومصلحته عندهم، فليذكر حقوقهم عليه ومصـــالحهم عنده، وتذكر ذلك يخلع المرء من أثرته الصغيرة، ويحمله علـــى الشعور بغيره حين يشعر بنفسه، فلا يتزيد ولا يفتات ... وحيث إن أعـــباء الدنيا جسام والإنسان وحده أضعف من أن يقف طويلاً تجاه هـــذه الشدائد، فإنه من العقل أن يلجأ لإخوانه لكي ينجدوه في الوصول إلى مقاصده ولذا قيل: المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه"[1].

ومن ثم كانت الأخوة الخالصة نعمة مضاعفة، لا نعمة التجانس الروحي فحسب، بل نعمة التعاون المادي كذلك، وقد كرر الله عز وجل: **" واذكـــروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها"[2].**

والإســـلام يحرص على التمييز بين المسلمين ولكن في المراتب والدرجات لا بحسب الأوضاع الاجتماعية أو الاقتصادية أو الجنسية، بل بحســـب الـــتقوى وحدهـــا: **" يأيهـــا الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم**

---

(1) محمد الغزالي ، خلق المسلم ، ص 171 – 173 بتصرف.

(2) آل عمران ، 103.

خبير "[1]. ومن ثم فلا يوجد تمييز بين أبيض وأسود وأصفر، وفى هذا شجب للتمييز العنصرى وإعلاء لقيمة الإنسان. ويعتبر الإسلام أول دين سماوى يحمل راية استنكار التمييز العنصرى بين البشر. ويقول البعض إنـــه إذا كان الإسلام يسوى بين الناس ولا يتمايز فيه أحد على الآخرين إلا بالتقوى، فكيف رضى عن استمرار نظام الرقيق أثناء حكم الإسلام ؟ والجـــواب علـــى هذا أن نظام الرقيق كان معترفاً به فى العالم كنظام اقتصادى لا يستطيع الإسلام أن يبطله مباشرة، وإلا وضعت عقبات فى طريق الدعوة الإسلامية الأولى، ولكن الإسلام مع ذلك قد حرص على إشاعة نظام عتق العبيد، وفك رقابهم فى كل مناسبة وتحريرهم من أسر الكفار لهم ثم عتقهم. وهذا يعنى أن الإسلام لم يكن يرضى عن استعباد الإنســـان لأخـــيه الإنسان. وقد رفض أيضاً فكرة التمايز الطبقى فتعاليم الإســـلام ترفض استعلاء طبقة على أخرى، وتَحَكُّمُ فئة فى المجتمع أو فى نظام العمل، فقد أصبح الجميع فى ظل الإسلام بنعمة الله إخوانا .

إن الـــنظرة الكلية للإسلام[2] عن الحياة تهدينا إلى أنه يعد الحياة الإنســـانية وحـــدة. وحدة من ناحية الزمن، متماسكة الحلقات، متدرجة الخطـــوات، متضـــامنة الأجيال، متعاقبة الأطوار: **" كيف تكفرون بالله وكنـــتم أمواتـــاً فأحياكم، ثم يميتكم ثم يحييكم، ثم إليه ترجعون "** [3]،

---

(1) الحجرات ، 13 .

(2) سيد قطب ، السلام العالمى و الإسلام ، الطبعة التاسعة ، دار الشروق ، 1409 هـــ – 1989 ، ص 167 .

(3) البقرة ، 28.

ووحـــدة من ناحية الفطرة، متماسكة النوازع والأشواق، ممتزجة المادة والروح، قابلة للإرتفاع إذا حسن توجيهها وتزكيتها، مستعدة للهبوط إذا ساء التوجيه والقيادة: " **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** " [1].

وصـــورة السـلام فى الإسلام التى تقوم على تلك النظرة الكلية الأولى تهدينا إلى أن الإسلام يعد البشرية كلها بشرية واحدة، ويعد الدين كلـه ديـناً واحـداً، ويعد المؤمنين كلهم أمة واحدة، ويعد الإسلام هو الصـورة الأخـيرة والنهائية لهذا الدين الواحد، فهو يصدق ما تقدمه، ويهيمـن علـيه لأنه الصورة النهائية له: " **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصـدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه** " [2]. والمسلمون إذن مكلفـون تـبعات إنسانية تجاه هذه البشرية بحكم وصايتهم هذه عليها، ووصـاية كِـتابهم على كُتُبها. هم مكلفون أن يحققوا فى الأرض ذلك السـلام الذى تتمثل خطواته فى الضمير والبيت والمجتمع، ويقوم على أسـس ومـبادئ من إفراد الله سبحانه بالألوهية وبالربوبية وبالحاكمية، ومـن العـدل والمسـاواة والحـرية، ومـن ضمانات الحياة القانونية والمعيشية، ومن منع البغى وإزالة الظلم، وتحقيق التوازن الاجتماعى،

---

(1) الشمس ، آيات 7: 10 .

(2) المائدة ، 48 .

والـــتكافل والتعاون، وإزالة أسباب الفرقة والخصام والنزاع بين الأفراد وبين الجماعات[1] المحلية منها والعالمية.

وقـــد جـــاء الإسلام جامعاً لكل شيء من شئون الدنيا والآخرة، وذلـــك مصداقاً لقوله تعالى: "**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**"[2]، وقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : "**تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بيِّناً، كتاب الله وسنتى**"[3]. وفى ذلك ما يوضح[4]: أن الإسلام جاء نظاماً وحكماً كما أنه عقيدة وعبادة. وهناك شبه إجماع بين علمـــاء الإسلام وبين المستشرقين الذين درسوا الإسلام وفقهوه على أن الإســـلام يتضـــمن نظاماً كاملاً للحكم، ينظم بمقتضاه شئون الحياة من سياســـية واجتماعية وتشريعية واقتصادية، كما يبين أصول المعاملات والعلاقات بين الأفراد وبين الدول.

وهـــناك مجموعـــة مـــن الآيـــات تحض على رعاية المجتمع الإسلامى وأفراده وتضع الخطوط العريضة للتكافل الاجتماعى باعتبار أن المسلمين أمة واحدة متماسكة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

---

(1) سيد قطب ، السلام العالمى و الإسلام ، ص 168 .

(2) النحل، 89.

(3) رواه مسلم، وأبو داود فى سننه.

(4) د. عـــبد الحليم حسن العيلي، الحُريات العامة فى الفكر والنظام السياسي فى الإسلام، دار الفكر العربي 1403هـــ-1983م، ص 150.

وقد ترددت هذه المعانى الإنسانية والاجتماعية العظيمة فى معظم آيات القــرآن وجــاءت فـــى نصوص الدعوة للإسلام كالحض على إطعام المســكين والرأفة باليتيم ورعاية الجار، وكذلك احترام حقوق الوالدين. وقــد ظهــرت صورة التكافل الاجتماعى مشرقة وضاحة فى فريضة الــزكاة، وهذه غير الإحسان العفوى، إذ أن الزكاة فى الإسلام إنما يتم توزيعها عن طريق بيت المال .

ولكــن هذا الدين – مع هذا كله – لم يتعسف الأمور، ولم يكلف المسلمين إكراه غيرهم على اعتناق عقيدتهم، بسبب أنها الصورة الكاملة الشــاملة الصادقة لدين الله الواحد فى الأرض: " **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** "[1]، إنما كلفهم بحماية المؤمنين حتى لا يفتنوا عن ديــنهم، وكــف القوة عنهم بالقوة. لأن الدعوة بالحسنى هنا لا تجدى، وليس هذا مكانها. وهذا هو ما يطلق عليه فى الإسلام " الجهاد فى سبيل الله " أى الجهاد لتحقيق ربوبية الله للعباد لتكون كلمة الله العليا، لا بإكراه الــناس لــيكونوا مسلمين بل بإتاحة الفرصة لهم ليتخلصوا من ربوبية الطواغيت، ويستمتعوا بالعدل المطلق الذى يريده الله لهم: " **الذين آمنوا يقــاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت** " [2] ..وذلك مفرق الطرق بين الجهاد فى سبيل الله والجهاد فى سبيل الشهوات.

---

(1) البقرة ، 256 .

(2) النساء ، 76.

ويتضـــح المعـــنى الحقيقى للجهاد فى الاسلام من الوقوف على مجال العلاقات الدولية بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى حيث تقوم هذه العلاقة على السلام وحسن الجوار والمعاملة الطيبة واحترام الحقوق والمواثـــيق الدولية ونبذ الحرب والعدوان إلا فى حالة الدفاع عن زمار الأمـــة الإسلامية ورد الاعتداء الموجه اليها، وقد جاء فى الذكر الحكيم قوله تعالى: " **وإن احداً من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون** "[1]. ومعنى ذلك أن تحافظ علـــيه ويكـــون أمانة فى عنقك حتى يغادر حدود الدولة الإسلامية إلى مكان يأمن فيه على نفسه. ومن الواجب شرعاً أن يتكاتف المسلمون فى الدفـــاع عـــن حدود الأمة الإسلامية وحماية المستضعفين من المسلمين الذين لا يستطيعون رد العدوان وتقليم أظافر البغاة والمهاجمين للإسلام، يقـــول الله عز وجل: " **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** "[2] .

ونقوم علاقة الدول الإسلامية بغيرها على أساس البر والعدل فى المعاملـــة استناداً إلى قوله تعالى: " **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحـــب المقسطين** "[3]، وهذه الآية تعنى أننا يجب أن نتبع سياسة حسن

---

(1) التوبة ، 6.

(2) البقرة ، 190 .

(3) الممتحنة ، 8 .

الجـــوار واحـــترام المعاهدات بين دولة الإسلام والدول التى لا تعتدى علـــيها، فالإسلام لا يبغى بالحرب إلا إحقاقاً للحق، فليس من أغراضه إحـــراز نصـــر وسيطرة على الآخرين، يقول الله عز وجل :"**الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عـــن المنكر ولله عاقبة الأمور** "[1] فإذا وقعت الحرب للدفاع عن الأمة الإســـلامية، فـــإن قـــوة المواجهة من العدوهى التى تكون هدفاً للقوات الإسلامية الضاربة، وليس جموع الشعب المسالم الأعزل، فقد كان النبى (صـــلى الله عليه وسلم) إذا عين أميراً على جيش أوعلى سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، ثم يقول: " **اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً** "[2] .

ولعلـــه من هذا المنطلق كان غضب رسول الله (صلى الله عليه وســـلم) حيـــن رأى بعض الأطفال من بين القتلى بعد إحدى الغزوات، فقـــال: " **مـــا بال قوم تجاوز بهم القتل حتى قتلوا الذرية، ألا لا تقتلوا الذريـــة، ألا لا تقـــتلوا الذرية، ألا لا تقتلوا الذرية**"[3]. ويلخص خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبو بكر الصديق أخلاقيات الحب فى الإســـلام فـــى توديعه لجيش أسامة بن زيد قائلاً: "**يا أيها الناس قفوا**

---

(1) الحج ، 41 .

(2) رواه البخارى فى صحيحه .

(3) رواه أبو داود، وابن ماجة فى سننهما.

أوصيكم بعشرة فاحفظوها عنى : " لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمــثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا إمرأة، ولا تعقــروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأناس قد فزعوا بأنفسهم فــى الصوامع فدعوهم وما فرغوا بأنفسهم فيه، وسوف تقدمون على قــوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء، فاذكروا اسم الله عليه ..."[1]

وفـــى الحــرب طالب الله رسوله بالإستجابة إلى السلام فور أن يجــنح له العــدو[2]: ويقول عز وجل: " **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكــل على الله** "[3] وهذا يدل ويبين أن الإسلام يقدس السلام ويدعوله ويحبــبه فـــى قلوب المسلمين إلا أن القرآن الكريم لم يترك الأمر كله لــيكون ســـلاماً وأمــناً، إذ لو اقتصر الأمر على ذلك لطمع طامع فى المســلمين، وقــد يعــتدى عليهم معتدى أو يظنهم البعض ضعفاء غير قادريـــن. ولهذا طالب القرآن بأن تكون دولة الإسلام هى دولة الأقوياء وأن تــتخذ دولة الإسلام من القوة السبيل إلى إقرار السلام، فإن أعتدى على دين الله أو على الإسلام أو على المسلمين فهنا ينقلب الأمر إلى قوة

---

(1) حسين فوزى النجار، الإسلام والسياسة، القاهرة (د.ت) ، ص 242.

(2) د. علـــى عـــبد المعطى محمد ، فلسفة السياسة بين الفكرين الإسلامى و العربى دار المعرفة الجامعية 1998 ، ص 278 .

(3) الأنفال ، 10 .

.. وقوة مدمرة. مصداقاً لقوله تعالى: **وإعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومـــن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** [1].

وهذه الخطوط تصور طبيعة السلام العالمى فى الإسلام[2] فليس هو سلاماً بالمعنى الضيق أى تجنب القتال بأى ثمن، وأياً كانت الأسس الـــتى يقوم عليها ترك القتال. إن هنالك سلماً رخصية، هى السلم التى تقـــام على حساب البشرية، وعلى حساب المبادئ العليا للإنسانية، كما أرادهـــا الله فـــى الأرض لبـــنى الإنســـان، وهذه السلم التى يحذر الله المســـلمين مـــنها: " **فـــلا تهنوا وتدعوا إلى السِّلم وأنتم الأعلون والله معكم** "[3] الأعلون لأنكم تمثلون الصورة العليا للحياة، والتى لابد لها من النصـــر حيـــن يؤمـــن الناس بها لأنها من كلمة الله: " **إن تنصروا الله ينصـــركم ويثبـــت أقدامكم** "[4] .. " **ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوى عزيز. الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** "[5] .

---

(1) الأنفال ، 60 .

(2) سيد قطب ، المرجع السابق ، ص 172 – 173 .

(3) محمد ، 95 .

(4) محمد ، 7 .

(5) الحج ، آيات 40 ، 41 .

ويتمـيز الإسـلام بميزة هامة تميزه كدين إلهي للناس كافة من ناحية، وترتبط بطبيعة السلام العالمى فيه، ألا وهى روح "السماحة" التى تعـنى الـود والـتراحم بين المسلمين بعضهم بعضاً، وبين بنى البشر جميعاً.

وإذا كانت السماحة منهج قرآنى واضح المعالم، فإنها أيضاً كانت أحد أبرز صفات النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن المواقف الدالة على ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) لمن أخذته هيبته فارتعد : **"هون عليك فلسـتُ بملكٍ إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد"**[1]. وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا استقبل الرجل فصافحه لا ينزع يده من يـده حـتى يـنزع الرجل. وكان (صلى الله عليه وسلم) إذا جلس بين أصـحابه يختلط بهم كأنه أحدهم "فيأتى الغريب فلا يرى أيهم هو حتى يسـأل عـنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً يعرفه الغريب، فبنوا له دكاناً من طين فكان يجلس عليه"[2]. ويضرب الرسول (صلى الله عليه وسلم) أروع مـثل للسماحة النادرة عندما عفى وأصفح عن هند بنت عتبة- زوجة أبو سفيان بن حرب- المحرضة علىٰ قتل عمه حمزة بن عـبد المطلب، وآكلة كبده. ففى يوم فتح مكة المبين تأتى النساء لمبايعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهند بنت عتبة متخفية فى وسطهن، إلا

---

(1) أخرجه الحاكم من حديث جرير.

(2) أخرجه أبو داود والنسائي.

أنه (صلى الله عليه وسلم) أدركها، وأدركت هي بفطرتها مدى السماحة التي في نفسه (صلى الله عليه وسلم)، إذ وقف بينهن يأخذ المواثيق والعهود: **ألا يسرقن، ألا يزنين، ألا يقتلن أولادهن** ... وكانت هند تتحين الفرصة لبدء الحديث تمهيداً لمصالحته، فلما قال : " **ألا يزنين**"، قالت : وهل تزني الحرة. ولما قال: " وألا تقتلن أولادكن"، قالت له في مزاح أريب: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد كفاهن بنفسه عبء ذلك إذ قام بقتل ذويهن في معركة بدر قبل ذلك بالفعل. فضحك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال: "**إنها هند بنت عتبة**" ، وبمجرد أن رأت ضحكته حتى طلبت عفوه، فعفى عنها وسامحها.

أي سماحة تلك التي تجعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصفح عن من أغرت أحد عبيد قريش بقتل عمه حمزة بن عبد المطلب في موقعة أحد، ثم لم تكتف بذلك، بل تمزق أحشاءه وتخرج كبده وتضعها بين فكيها طاحنة إياها بمنتهى الشراسة، إنها سماحة الإسلام!.

ففي روح الإسلام من السماحة ما لا يملك منصف أن ينكره أو يرواغ فيه، وهي سماحة مبذولة للمجموعة البشرية كلها لا لجنس فيها، ولا لأتباع عقيدة معينة، إنما هي للإنسان بوصفه إنساناً. فعندما يؤدي الإسلام واجبه في هداية البشرية وينهض بتكاليفه في دفع الظلم والفساد عنها، لا تبقى له سلطة تعسفية على فرد أو قوم، ولا تبقى في صدره إحنة على طبقة أو جنس. وهي روح تمكن له من إقرار السلام في

الأرض، ومـــن تألـــيف الأجناس والألوان، ومن إشاعة السماحة والود والـــتراحم بيـــن بـــنى البشر، ومن تنقية جو الحياة من سموم التحاسد الفـــردى، والتطاحـــن الطبقى، والتناحر العنصرى كما تمكنه من كف الحروب والمجازر التى تقوم على تلك الأسباب، وعلى الرغبة فى الفتح والتوســـع لمجـــرد الاســـتغلال المادى أو العظمة الكاذبة. وفى مبادئ الإسلام العامة ما يصور هذه الروح الإنسانية الخالصة[1] " **ولا تجادلوا أهـــل الكـــتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بـــالذى أنـــزل إليـــنا وأنـــزل إلـــيكم وإلهـــنا وإلهكم واحد ونحن له مســـلمون** "[2]، وعن جابر بن عبد الله قال: " مرت بنا جنازة فقام النبى وقمنا فقلنا يا رسول الله: إنها جنازة يهودى، فقال: **أوليست نفسا ؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا** "[3]. وبهذه السماحة الخالصة سار خلفاء الرسول (صـــلى الله علـــيه وسلم) وسار المسلمون فى الغالب، فلم تند إلا فلتات عابـــرة من التعصب فى غير واجب دينى، وفى غير ظلم يدفع أو فساد يرفع، وقد وقعت على أيدى أناس لا يعدون ممثلين للإسلام ولا فاهمين لمبادئه العليا وروحه الإنسانية.

رأى عمـــر شـــيخاً ضـــريراً يســـأل على باب، فسأل، فعلم أنه يهـــودى، فقـــال لـــــــه: ما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال: الجزية والحاجة

(1) سيد قطب ، السلام العالمى و الإسلام ، ص 177 – 178.

(2) العنكبوت 46 .

(3) رواه أحمد فى مسنده ، والترمذى فى سننه .

والسن، فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله، فأعطاه ما يكفيه ساعتها، وأرسل إلى خازن بيت المال: " انظر هذا وضرباءه، فوالله إن أنصفناه ما أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم. " **إنما الصدقات للفقراء والمساكين**". وهذا من مساكين أهل الكتاب. ولما سافر عمر إلى دمشق مر بأرض قوم مجذومين من النصارى، فأمر أن يُعْطَوا من الصدقات وأن يُجْرِي عليهم القوت. فهذه الروح السمحة هى التى اجتذبت الناس إلى الإسلام، ويسرت له أن ينساح فى الأرض بتلك السرعة العجيبة الخارقة، فقد كان الناس يفرون إليه من الاضطهادات الدينية والعنصرية السائدة حينذاك، وهم يجدون فيه السماحة والعدالة والمساواة .

وترتبط بسماحة الإسلام فضلية جد عظيمة، ألا وهى فضلية احتمال الأذى والعفو عن المسىء والتحلى بالحِلْم. فلقد اختص الله سبحانه وتعالى بعض الفضائل ليجزل لصاحبها الجزاء ترغيباً للناس على فعلها، وحثاً لهم على التمسك بها، والعمل على انتشارها فى المجتمع، بل وفى العالمين، وذلك لما لها من خير عظيم يعم أثره على صاحبها وعلى المجتمع.

إن الحِلْمَ واحتمال الأذى والعفو عن المسىء من وسائل رضا الله ومغفرته، ولهذا يأمرنا، تبارك وتعالى، بالعفو والصفح عن المسىء، فيقول :" **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم**"[1]. وقد كان

---

(1) النور، 22.

الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى حياته مثلاً أعلى فى هذه الناحية، ولا عجب، فقد كان ينبغي أن يكون القدوة المثلى لأصحابه ولأمته جميعاً فى كـل خلـق جميل محمود، وهو الذي أمره الله بقوله :" **فاصفح الصفح الجميل**"[1].

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها :" ما انتقم رسول الله (صلى الله علـيه وسلم) لنفسه من شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعـالى" [2]. فهـناك حـالات كثـيرة لا يجوز فيها العفو والصفح عن المسيء، يمكن أن نشير إلى بعضها فيما يلى[3]:

الأولى: أن يكون المعتدى المسيء فاجراً وقحاً ممعناً فى إساءته ولا يصـلحه العفـو، فهنا ينبغي الانتقام منه مع عدم مجاوزة الحدود. ولذلـك نـرى الله العلى الحكيم يذكر فى معرض المدح، الانتصار من الـبغاة الظالمين فيقول :" **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون**" [4]، وهذا حتى لا يجترئ المعتدون الذين لا ضمائر لهم تردعهم عن الشر.

الثانية: أن ينتهك إنسان حرمة من حرم الله تعالى، ويتعدى حداً من حدوده، فحينئذ، يجب الغضب لله وعقاب الآثم بما يستحقه. وفى هذا

---

(1) الحجر ، 85.

(2) حديث متفق عليه.

(3) محمد يوسف موسى، الأخلاق فى الإسلام، مؤسسة المطبوعات الحديثة (د.ت)، ص 85-86.

(4) الشورى ، 39.

روت السيدة عائشة (رضى الله عنها) كما جاء فى صحيح البخارى وغيره أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت، فقالوا من يكلم فيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فقالوا: من يجرؤ عليه إلا أسامة بن زيد حِبّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فكلمه أسامة، فقال الرسول :" **أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟** " ثم قام فخطب الناس وقال :" إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، **وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لم أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".**

الثالثة: هى أن يقع الاعتداء على الأمة من أمة أخرى، كما حدث ويحدث كثيراً فى كل عصر وزمان. إنه فى هذه الحالة أيضاً يكون من الواجب شرعاً وخلقاً رد الاعتداء بمثله محافظة على حقوق الأمة وكرامتها.

فلا يجب على المرء أن يعفو ويصفح فى مثل هذه الحالات، لأن هذا من شأنه أن يؤدي إلى الفساد والفتنة، بل وتقويض دعائم المجتمع المسلم الذي تساوى فيه جميع أفراده فى الحقوق والواجبات. فينبغي إذن الأخذ بالانتقام فى هذه الحالات المذكورة، الأمر الذي يؤدي إلى ثبات المجتمع، ورقى الفرد والدين والوطن، بل والبشرية عموماً.

الأدلة النقلية على عالمية الرسالة الإسلامية

أولاً: شهادة الكتب السابقة على القرآن

تضمنت التوراة، والإنجيل التبشير بمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبـياً خاتمـاً لكافة الأنبياء من قبله، وأنه رسول الله إلى العالمين، وأن رسالته هى الخاتمة للناس أجمعين، ويمكن بيان ذلك فيما يلى[1]:

جـاء فـى سفر التثنية من التوراة قوله : "جاء الرب من سيناء وأشـرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران ومعه ألوف الأطيار" (الباب الثالث والثلاثين) فهذه شهادة صريحة من التوراة واضحة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) بنبوته ورسالته، إذ معنى هذا اللفظ: أن الله تعالى نـاجى موسى وأوحى إليه بسيناء، وأرسل عيسى وأوحى إليه بساعير، وهـى مـن أرض الجبل بالقدس، وبعث محمداً (صلى الله عليه وسلم) رسولاً معلناً "لا إله إلا الله" للناس كافة، مستعلناً بها من مكة الواقعة بين جبال فاران كجبل أبى قبيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها.

وجـاء فى إنجيل يوحنا (الباب الرابع عشر، الفقرتان 15،16) "إن كنـتم تحبونـنى فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلبُ من (الأب) فيعطيكم معزياً (فارقليط) آخر ليمكث معكم إلى الأبد" فترجمة الفارقليط : محمد أو أحمد، وبقاؤه معهم إلى الأبد هو بقاء دينه وكتابه، وسنته بحفظ الله.

---

(1) راجع فى ذلك؛أبو بكر الجزائرى، عقيدة المؤمن، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص 304، وبعدها.

وجــاء أيضاً فى الباب السادس عشر الفقرة 7: " لكنى أقول لكم الحــق، إنــه خــير لكم أن أنطلق لأنىَ إن لم أنطلق لم يأتكم المعزى (الفارقلــيط) ولكن إن ذهبت أرسلته إليكم". فالفارقليط هو محمد (صلى الله علــيه وسلم) ولو لم يذهب عيسى (عليه السلام) برفع الله تعالى له، لمــا بُعــث محمد (صلى الله عليه وسلم)، إذ كانت بعثته على فترة من الرسل كما قال تعالى :" **يا أهل الكتاب قد جاءَكم رسولنا يُبين لكم على فــترة مــن الرُسُل أن تقولوا ما جآءَنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ فقد جآءكُم بشيرٌ ونذيرٌ والله على كل شيء قدير**"[1].

ولقــد وبخ الله العرب الكافرين على عدم إيمانهم برسالة محمد (صــلى الله علــيه وسلم) مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته، وثــبوت رسالته، وهى معرفة علماء بنى إسرائيل وشهادتهم له بأنه نبي الله، وما جاء به هو من عند الله. قال الله تعالى :" **أولم يكُن لهم آية أن يَعلَمهُ علماء بنى إسرائيل**"[2]. وقد أخبر الله جل وعلا فى آية أخرى من ســورة الــبقرة أن الذين أوتوا الكتاب : التوراة والإنجيل يعرفون نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) مثل معرفتهم لأولادهم، كما أخبر أن فريقاً كبيراً منهم يكتمون الحق بعد معرفتهم له، ولذا لم يؤمنوا برسالة محمد (صــلى الله عليه وسلم) بعد معرفتهم لها تمام المعرفة " **الذين آتيناهم**

---

(1) المائدة، 2.

(2) الشعراء، 197.

الكـــتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءَهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون"[1].

وتعـــد شهادة عبد الله بن سلام، أكبر وأهم أحبار وعلماء اليهود وقـــت ظـهــور الإسلام، من أكبر الشهادات للإسلام، وأنه خاتم الأديان السماوية التى أُرسلت إلى العالمين[2].

---

(1)البقرة ، 146.

(2) روى الـــبخارى فـــى صحيحه من كتاب الأنبياء عن أنس بن مالك ، أن عبد الله بن ســـلام بلغـــه مقدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة فأتاه، فقال : إنى أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أى شيء ينزع الولد إلى أبيه.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :" أخبرنى بهن آنفاً جبريل". قال عبد الله بـــن ســـلام : ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :" أما أول أشراط الساعة فنارٌ تحشرُ الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهلُ الجـــنة فزيادة كبدِ الحوت. وأما الشبهُ فى الولد، فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه، كـــان الشبهُ له، وإذا سبق ماؤها كان الشبهُ لها". قال عبد الله بن سلام : أشهد أنك رسول الله. ثـــم قال : يا رسول الله إن اليهود قومٌ بُهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتونى عندك. فجاءت اليهودُ، ودخل عبدُ الله البيت، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أى رجـــلٌ فـــيكم عـــبد الله بن سلام ؟" قالوا : أعلمُنا وابن أعلمِنا، وأخيرُنا وابن أخيرُنا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " أفرأيتم إن أسلم عبد الله ؟" قالوا : أعاذه الله من ذلك. فخـــرج عـــبد الله إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا : أشرُنا وابن شرِنا ووقعوا فيه!.

أمـــا علمـــاء النصـــارى فإن لهم من الشهادات برسالته ونبوته الخاتمـــة إلـــى العالمين ،ما لا يحصى فى هذا المقام، ولكن كفانا شهادة الملـــك الصـــالح أصحمة النجاشي، قال الله تعالى: " **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسينَ ورهباناً وأنهم لا يســتكبرون. وإذا سمِعوا ما أُنزل إلى الرسولِ ترى أعيُنَهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين. وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يُدْخِلَنا ربُنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فــيها وذلك جزاء المحسنين**"[1]. فقد أجمع علماء التفسير على أن هذه الآيـــات نزلـــت فى النجاشي وأصحابه المؤمنين، وقولهم :" **وما لنا لا نؤمـــن بـــالله ومـــا جاءَنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربُنا مع القوم الصـــالحين**" يعـــد شـــهادة عظـــيمة بالإسلام، ونبيه وكتابه الخاتم فى العالمين[2]

---

(1) المائدة ، 82-85.

(2) نص رسالة النجاشي إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلـــى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبحر: سلام الله عليك يا نبي الله مـــن الله ورحمة الله وبركاته. لا إله إلا الله هو الذي هداني إلى الإسلام، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على مـــا ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقرّبنا ابن عمك (جعفر) وأصحابه. فأشهد أنك-

ثانياً أدلة القرآن والسنة

لقــد ذكــر الله تعالى أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح علــيه السلام وآخرهم وهو محمد (صلى الله عليه وسلم)، والدين الذى جــاءت بــه الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال عز وجل: "**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نُوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**"[1]

ولقــد أكــد القــرآن الكريم على أن الإسلام هو دين المرسلين والنبييــن جمــيعاً، مــن لــدن أدم حتى الرسالة المحمدية التى ختم بها الرســالات[2]. وقــد أكد الله هذا المعنى فى قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: "**وأمرت أن أكون من المسلمين**"[3]، وعلى لسان إبراهيم وإسماعيل: "**ربنا واجعلنا مُسْلِمَيْنِ لك**"[4]، وفى وصية يعقوب لأولاده:

-رســول الله صادقاً مصدقاً. وقد بايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين. وبعثت إليك يا نبي الله بأريحا بن الأصحم بن أبحر، فإني لا أملك إلا نفسي. وإن شئت أن آتــيك فعلــت يا رسول الله. (ابن كثير البداية والنهاية، طبعة دار النصر، القاهرة 1966، جـــ 3، ص 84). وذكر أبو داود أن النجاشي قال :" أشهد أنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم" (سنن أبي داود ، طبعة مطبعة الحلبى، القاهرة 1952، جـــ2، ص 189).

(1) الأنبياء ، 25 .

(2) راجع سليمان الخطيب ، مرجع سابق ، ص 204.

(3) يونس ، 72 .

(4) البقرة ، 128 .

" **إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** "[1]، وعن موسى عليه السلام: " **توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين** "[2]، وعن سحرة فرعون وقد آمنوا بموسى: " **ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين** "[3]، وعن حواريى عيسى: " **آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون**"[4]، وعن ملكة سبأ وقد آمنت: " **وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين** "[5]، وفى دعاء الرجل الصالح: " **وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين** "[6] وقال تعالى جامعاً، ومن خلال وحدة متكاملة لا انفصام فيها ولا انقسام: " **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** "[7].

والإسلام فى الأصل معناه[8] الاستسلام لله فى أمره ونهيه على لسان الوحى، فمن أسلم وجهه وقلبه لله فى كل أمر، فهو المسلم، ولمَّا كان النبيون والمرسلون أكثر الناس لله استسلاماً فقد كانوا بذلك أول

---

(1) البقرة ، 132

(2) يوسف ، 101

(3) الأعراف ، 126 .

(4) آل عمران ، 52

(5) النمل ، 44 .

(6) الأحقاف ، 15 .

(7) الشورى ، 13 .

(8) سليمان الخطيب ، مرجع ، ص 205 .

المسلمين يقول عز وجل: " **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** "[1]. وبدون تسـليم ولا استسلام لله فى حكمه فلا إسلام يقول تعالى: " **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم. ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً ممـا قضـيت ويسـلموا تسليما** "[2]. ومن بديهيات العقيدة الإسلامية، ضرورة إيمان المسلم بصدق جميع الرسل يقول جل وعلا: " **قولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحٰق ويعقوب والأسـباط ومـا أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفـرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** "[3]، وقوله تعالى: " **لا نفرق بين أحد من رسله** "[4] .

فالقـرآن الكريم يصف كل الأنبياء، قبل الرسالة الخاتمة، بأنهم مسـلمون، بالإضافة إلى اعتبار ضرورة الإيمان برسالاتهم كأصل من أصـول الإسلام، فإن فى ذلك ما يؤكد عالمية الرسالة الإسلامية. ولقد كـان بَعْـثُ رسـولٍ إلى كل أمة، هو الخطوة الأولى الممهدة لعالمية الرسالة الإسلامية، حيث نجد القرآن الكريم يخبرنا بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، قد أُرسل إلى الناس كافة بخلاف من سبقه من الرسل،

---

(1) الأنعام ، آيات 162 – 163 .

(2) النساء ، 65 .

(3) البقرة ، 136 .

(4) البقرة ، 285 .

فإنهم أرسلوا إلى أممهم فقط. فسيدنا نوح عليه السلام قد أرسل إلى قومه وحدهـــم: " **لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه** "[1]، وأُرسل هود إلى قوم عاد: " **وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون** " [2]، وكذلك موسى: " **ولقد أرسلنا موسى بأياتنا أن أخرج قومك مـــن الظلمات إلى النور** "[3] وكذلك عيسى عليه السلام: " **ورسولاً إلى بـــنى إســـرائيل أنى قد جئتكم بآيةٍ من ربكم ..**"[4]، فكل هؤلاء الأنبياء أرســـلوا إلى أقوامهم خاصة، ولم تكن رسالتهم إلى الناس كافة، وكانت الرســـالة الإســـلامية هى الخاتمة، يقول تعالى: " **قـــل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا** "[5] أى جميعهم وهذا من شرفه وعظمته (صلى الله عليه وسلم) أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة كما قال الله تعالى: " **قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** "[6].

فهذه النصوص تكشف لنا عن الطبيعة العالمية للإسلام باحتضانه كافـــة العقـــائد الســـماوية قبله، واحترامها، واحترام أنبيائها وأتباعها،

---

(1) الأعراف ، 59 .

(2) الأعراف ، 65 .

(3) إبراهيم ، 5 .

(4) آل عمران ، 49 .

(5) الأعراف ، 158 .

(6) الأنعام ، 19 .

ومودته للمؤمنين منهم، وسماحته بحرية العبادة حتى وإن لم يؤمنوا به، ما لم يقاوموه ويحادوه. فالإسلام تبعا لفكرته هذه عن الديانات المختلفة، وتمشياً مع نزعته العالمية لا يبت الصلة بينه وبين من لا يؤمنون به ما دامــوا لا يحاربونه، ولا يمنعون دعوته أن تبلغ الناس، ولا يفسدون فى الأرض ولا يعتدون على الضعفاء، بل يفسح للداخلين فى سلطانه مجال الحياة كاملاً، ويفسح لمن لا سلطان له عليهم مجال التعاون العالمى فى الخير والصلاح[1] .

فالإسلام ليس دين فئة معينة، ولا طبقة واحدة ولا أمة بعينها، بل هــو ديــن لكافة الناس فى مشارق الأرض ومغاربها وعلى ذلك تكون رسالته عالمية تدعو فى العالمين.

وفــى مجــال التطبــيق نجد أن الحضارة الإسلامية قامت على الديــن، بــه نشــأت وبه كان مجدها وعزها وازدهارها، فما انتشرت حضــارة الإسلام ولا سادت إلا بالدين، وما تصدرت سائر الحضارات عقب ظهور الإسلام إلا بالدين، بل كان الدين طاقة متفجرة أمدت جميع مظاهــر الفكــر بمعين الحيوية، ومن ثم حملت جميع مظاهر الحضارة طابعــه[2]. فلقــد كانــت العقــيدة الإسلامية هى التى تقف وراء إقامة

---

(1) سيد قطب ، نحو مجتمع إسلامى ، ص 111 .

(2) أحمــد محمــود صــبحى ، هاؤم إقرأوا كتابيه ، محاولة لتجديد الفكر الإسلامى دار المعرفة الجامعية 2002 ، ص 219 .

الخلافـــة فى الإسلام، ففى أقل من قرن واحد كان المسلمون قد وصلوا إلـــى الهند شرقاً وجنوب فرنسا غرباً، ففى عام 91هـــ كان طارق بن زيـــاد يطـــرق باب الأندلس، ودخلها بالفعل عام 92 هـــ، وبذلك نجح المسلمون فى تكوين دولة عظمى مترامية الأطراف[1] .

فالقـــرآن وكذلـــك السـنة بوصفهما صادرين عن الله ورسوله والمنبعيـــن الأساسين للإسلام ومبادئه باعتباره دين الفطرة، إنما يصبح صالحاً للتطبيق على المسلم فى كل زمان ومكان باعتبار أن العقل السليم إنمـــا يستجيب لفطرة الإنسان، ونوازعه الطيبة التى تنأى به عن مواقع الشـــر، ولمّا كانت الأخلاق والفضائل والسلوكيات الطيبة إنما تطبق فى هـــذه الحياة، وتشرع لاستقرارها وسلامة أبنائها، لهذا فإن هذه الحصيلة الأخلاقـــية المباشـــرة وغير المباشرة. إنما توجه إلى تنظيم شئون الدنيا وإعمارها .

والإســـلام فـــيه مـــن عناصر العالمية ما تجعله يستجيب دوماً لمتطلـــبات الواقـــع التى تتضمن متغيرات الزمان والمكان، وهو يتكيف دائمـــاً مع الاستمرارية الحضارية بنفس الدرجة التى يحافظ فيها على أصالة قيمه، وجوهر عقيدته الغراء.

---

(1) د. علـــى عبد المعطى محمد ، المدخل إلى الفلسفة ، دار المعرفة الجامعية 2000 ، ص 196 بتصرف.

المبحث الثانـــى

العولمة الغربية

مدخل :

كثر الحديث فى السنوات الأخيرة عن العولمة Globalization علـــى كافـــة المســـتويات، وكيف أنها قد شغلت أفكار وأقلام المفكرين الاقتصـــاديين والاجتماعيين، والسياسيين. كما أسهم الفلاسفة والأدباء، والفنانون، والإعلاميون فى التنظير لهذا المصطلح والذي تتخذ صورته النهائـــية مفهومـــاً اقتصادياً واضحاً. فمنذ بداية العقد الأخير من القرن العشرين انفرد القطب الرأسمالي بالعالم وذلك على أثر أفول نجم الدولة الاشـــتراكية العتـــيدة وانهـــيارها فى الاتحاد السوفيتي. ومن هنا تعمل العولمـــة جـــاهدة على إحياء تراث الرأسمالية التى تقضى على ما ساد العـــالم- بعـــد انهيارها- من مبادئ ديمقراطية وحرية ومساواة وعدالة اجتماعـــية. فكمـــا يقول مُنَظِّروا العولمة: "إن مراعاة البعد الاجتماعي واحتياجات الفقراء أصبح عبئاً لا يطاق .. وأن شيئاً من اللامساواة بات أمراً لا مناص منه"[1].

وقد انعكست هذه الأفكار فى السياسات الاقتصادية الليبرالية التى تطبق الآن فى مختلف دول العالم دون مشاركة الناس أو موافقتهم عليها بـــزعم أن العولمة قد أدمجت اقتصاد كل دول العالم فى اقتصاد عالمى موحـــد تحت شعار "العالم سوق واحد" بفضل ثورة الاتصالات الحديثة المتمثلة فى الكمبيوتر، والانترنت والأقمار الصناعية .. وغير ذلك.

---

(1) هـــانس- بيزمارتن، هارالدشومان، فخ العولمة، ترجمة عدنان عباس على، مراجعة وتقديم رمزى زكى اسكندر، سلسلة عالم المعرفة 238، اكتوبر 1998، المقدمة،ص9.

ومـــع النمو المطرد للعولمة يتوقع مُنَظِّروها أن رؤوس الأموال ســوف تــتركز فى أيدي عشرين فى المائة فقط من السكان، إن على مستوى العالم أو على مستوى كل دولة فيه. ويعيش الثمانون فى المائة من السكان على فتات أصحاب رؤوس الأموال فى عالم بؤس تنعدم فيه مبادئ العدالة الاجتماعية، وتنتشر البطالة، ويعم الفقر والمرض، وترتفع نسبة الانحطاط الأخلاقى والثقافي، وتزداد الجرائم، وبالجملة تضيع كل المكاســب التى حققتها الطبقة العاملة والوسطى من مكاسب بعد انهيار الرأسمالية القديمة.

إن العولمة ليست مجرد تغيير فى اقتصاد العالم فحسب، ولكنها تــؤدي أيضـــاً إلى تغييرات نظامية فى المجالات الاجتماعية،والثقافية، والسياســية. فقــد أحدثــت الحــركة الانتقالية لرأس المال، والبضائع والخدمات،والــتقدم فى تكنولوجيا الاتصالات تكامل غير مسبوق للدول والأســواق، ورأس المال، والتكنولوجيا، والحكومات. إلا أن كثيراً من دول العـــالم النامـــي فشـــلت في الدخول في هذا التكامل للاستفادة من الاقتصــــاد العالمى، وذلك بسبب تفشي الفقر، ومن هنا بات من الواضح أن أقلية صغيرة من مجموع دول العالم هى التى جمعت الفوائد العظمى للعولمـــة. وقـــد عمـــل التقسيم الرقمى الجديد على اتساع الفجوات بين الأثـــرياء والفقـــراء، وذلـــك عن طريق إلغاء الوظائف ذات المستوى المنخفض، وخفض الأجور، وإضعاف حقوق العمال. وقد نتج عن هذا الموقف عدم الاستقرار السياسي وتقويض التعاون الدولى.

فالعولمـــة تقسم المجتمع عن طريق إجراءاتها الفعالة فى فئتين: فئة باهظة الثراء ترتبط بثقافة القطب الرأسمالى، وتحاول أن تنسلخ من ثقافاتها، وتتسلح بالثقافة الجديدة من غذاء وسلوك وتعليم الأبناء .. الخ، أمـــا الفـــئة الثانية فتشكل الأغلبية الساحقة التى تقوقعت على نفسها فى إحـــياء عشوائية ونجوع وكفور بعد أن تقطّعت الصلات بينها وبين فئة النخـــبة. وهـــذا الـــنمط المعيشي يؤدي حتماً إلى أن تُفرز هذه الأغلبية عادات وتقاليد وطرق تفكير وسلوكيات بائسة ومشوهة، يمكن أن يُطلَقَ عليها ثقافة "منحطة" .

وهكـــذا تـــتحول الدعـــوة للانفتاح على السوق النقدى والمالى العالمى إلى إيديولوجية صارمة يجب أن يخضع لها الجميع، وإلا فقانون الغـــاب ســـيتكفل بالعقـــاب وكـــل دول العالم تقريباً أخذت تحت تأثير الضـــغوط الـــتى تمارسها عليها المنظمات الدولية، فى تطبيق سياسات االانفتاح المعولم[1]. وفى الصفحات القادمة أحاول رسم أبعاد صورة هذا الجـــو المشـــئوم، الـــذي يدعو إليه أصحاب العولمة الغربية ومنظّروها المخلصون.

---

(1) هانز – بيتر مارتين، هارالد شومان، م.س ، ص 13.

أولاً : المصطلح وتأصيله

مر العالم منذ عقد تسعينات القرن العشرين بتحولات كبرى غيرت من أصول الفكر والتوجه الفكرى الذى يتحكم فى مسيرته، وكذا الأمر فيما أُحدث من إنقلاب شامل لكل النواحى الإقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، وبدأت فى الظهور عبارات رنانة مثل ؛ " نهاية التاريخ "، و " صدام الحضارات " ، و "جيران فى عالم واحد " ، يتضح من خلالها ملامح العلاقات الدولية والنظام الدولى الذى يتحكم فى هذه العلاقات. وباختصار العولمة هى " العملية التى من خلالها تصبح شعوب العالم متصلة ببعضها البعض فى كل أوجه حياتها، ثقافياً واقتصادياً ، وسياسياً وتقنياً وبيئياً "[1]. فلقد شاع استخدام لفظ "العولمة" Globalization فى السنوات الأخيرة، وبالذات بعد سقوط الاتحاد السوفيتـــى، ومع هذا فإن الظاهرة التى يشير إليها ليست حديثة بالدرجة التى قد توحى بها حداثة هذا اللفظ فالعناصر الأساسية فى فكرة العولمة هى[2]:

- ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء؛ والمتمثلة فى :

أ –تبادل السلع والخدمات.   ب– أو فى انتقال رؤوس الأموال.

ج– أو فى انتشار المعلومات والأفكار .

د – أو فى تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم .

---

(1) Lohan Balis & Steve Smith, The Globalization of world Politics, and introduction to international Relations, London 1997, P. 15

(2) جلال أمين: العولمة ، سلسلة أقرأ ، عدد (636) ، دار المعارف ، 1998 ، ص13.

فكل هذه العناصر يعرفها العالم منذ قرون عديدة ماضية، وقد سبق أن أشرت إلى المحاولات المبكرة فى تاريخ البشرية، وهو الأمر الذي يجعلنى أتعرض بالنقد لوجهة نظر أحد الكتّاب الغربيين فى عرضه لمراحل تطور العولمة وذلك فى موضوع لاحق من هذا البحث.

وعلى ذلك، فإنه عندما يذكر مصطلح " العولمة " Globalization فإنه يجعل الذهن يتجه إلى الكونية، أى إلى الكون الذى يعيش فيه، وإلى وحدة المعمور من الكوكب الذى نعيش عليه، ومن ثم فإن المصطلح يعبر عن حالة من تجاوز الحدود الراهنة للدول إلى آفاق أوسع وأرحب تشمل العالم بأسره .

إذن يظهر أن العولمة أو الكوننة هى العملية التى يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب التى تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزأ إلى حالة الإقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق ، وبذلك يتشكل وعى وقيم عالمية موحدة[1] .

ومن ثم فإن " العولمة " تأخذ جوانب عديدة من بينها ما يلى[2]:

1- حرية حركة السلع والخدمات والأفكار وتبادلها الفورى دون حواجز أو حدود بين الدول، وهى شاملة حرية نقل واستثمار جميع عوامل

---

(1) Friedman Jonathan, Cultural Identy and Global Process, Gage Publications, London, 1994, P. 52 .

(2) محسن أحمد الخضيرى : العولمة ، مقدمة فى فكر وإقتصاد وإدارة عصر اللادولة ، مجموعة النيل العربية ، 2000 ، ص 16 ، 17 .

الإنتاج من أيدى عاملة ، ورأس مال . وإدارة ، وتكنولوجيا ، وأرض أو موارد أرضية قابلة للإستثمار والاستغلال .

2- تحول العالم إلى قرية كونية بفعل تيار المعلوماتية Informative، أى أن يصبح كل سكانه فى حالة معرفة وإحاطة فورية بما يحدث لديهم، وبما يحدث لدى الأخرين.وبحكم ثورة الاتصالات والتقدم والتفنن الفائق يمكن لكل منهم التأثير والتأثر فى الآخرين وبالآخرين.

3- ظهور نفوذ وسطوة الشركات متعددة الجنسيات Multinationals ، وتلك متعدية الجنسيات Transnationals، وتلك فوق القوميات Superanationals كقوة عالمية فائقة النفوذ والقوة، تسعى من أجل الهيمنة، وليس لها ولاء أو إنتماء لدولة بعينها، أو لقومية محددة .

إن الاعتقاد بأن الحضارة الغربية هى رمز لا شك فيه، لحضارة إنسانية عامة، وليست مجرد إفراز من إفرازات ثقافات بعينها ، هذا الاعتقاد من وجهة نظرى، اعتقاد خاطئ، لأنه يرسخ العولمة كظاهرة حتمية لا مفر من الانجراف داخل طياتها؛ لكن العولمة هى عولمة حضارة بعينها ، وهذه الحضارة هى بدورها تعبير عن ثقافة أمة بعينها أو ثقافة مجموعة معينة من الأمم ، تغزو الأمم الصغيرة قياساً إلى الكبيرة الغازية، والتى تتوارى بغزوها وراء مسميات براقة زائفة .

فالعولمة مفهوم مراوغ ، ومتعدد الدلالات ، ومختلف المعانى ، وعمومية استخدام المصطلح ، تجعل من الصعب إيجاد مفهوم خاص له يتمتع بالقبول الجماهيرى شائع الإستعمال .

ومع هذا هناك تعريفات كثيرة للعولمة على حرب الذى فيه يقول:(العولمة بمعناها الظاهر هى التبادل المعمم على المستوى الكونى) وبالإمكان عكس هذا التعريف للقول إن العولمة هى تعميم التبادلات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية على نطاق الكرة الأرضية. إنها عملية تحريك للأشياء والأفكار والأشخاص بصورة لا سابق لها من السهولة والديمومة والشمولية(1) .

وهذا التعريف السابق يدل على واقع حقيقى لما تهدف إليه العولمة من اجتياح كامل لكل النواحى الإقتصادية والاجتماعية والثقافية بل والسياسية، كما يشير هذا التعريف إلى ما فى العولمة من ديناميكية فى أفعالها وتحركاتها عبر الدول والقارات، وكذلك إلى ما فيها من شمول ولعل هذا كان واضحاً فى المسميات التى اتخذها العرب ليستدلوا بها على هذا المصطلح ، حيث إن مصطلح العولمة لم يعرف طريقه فى العالم العربى إلا منذ 1990 ، وكان قبل ذلك له ألفاظ عديدة فى اللغة العربية منها الكوكبة، الكوكبية، الكوننة، التكوننة، الكونائية، التكوكبة ، التكوكب ، التكوكبية ، الشوملة الكونية ، العلاقات الجلوبالية .. إلخ.

---

(1) محمد الجوهرى حمد الجوهرى : العولمة والثقافة الإسلامية ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، 2002 ، ص 28 .

ولقد تضافر على خلق وإتســاع ظاهرة العولمة عدة عوامل أو مسببــات، يمكن إيجاز أهمها فيما يلى[1] :

1- ثورة تكنولوجيا المعلومات .

2- التكتلات الإقليمية الدولية .

3- إتفاقية الجات .

4- التحالفات الإستراتيجية لشركات عملاقة.

5-الشركات العالمية متعددة الجنسيات وعابرات القارات.

6- معايير الجودة العالمية.

7- تزايد حركة التجارة والاستثمارات العالمية.

وهــذا الإيضاح السابق عن عوامل انتشار ظاهرة العولمة، من وجهــة نظرى، يبين لنا أن مجالات الثقافة ومجالات الحضارة الغربية العلمانية الحديثة يجب أن تسود وتسيطر على العالم، وفى حالة سيادتها وســيطرتها، يجــب أن تبحث هذه الثقافة عن العوامل التى تؤدى إلى اســتمرار سيادتها - فعلى سبيل المثال نجد أن الديموقراطية التى تسود الــنظام الليــبرالى الغربى الحديث تحاول أن تسود وتسيطر على النظم السياســية فى العالم، وكذلك الأمر فى محاولة السينما الأمريكية فى أن تغزو العالم العربى والإفريقى.

---

(1) أحمــد ســيد مصطفى : تحديات العولمة والتخطيط الاستراتيجى برؤية مدير القرن الحادى والعشرين ، ط131 ، 2000 ، ص 14.

ومما يؤكد وجهة نظرى هذه، ما يذكره ولف جانج هـ . رينيك عن العولمة ونسبة العولمة بكل جوانبها إلى العولمة الإقتصادية التى هى ظاهرة ذات مستوى واحد ، فهى تمثل من وجهة نظره تكاملاً ذا بعد عابر للحدود والقوميات لشركات فردية ذات تركيب هيكلى طبيعى وتصرف إستراتيجى طبيعى.

غير أن العولمة كمفهوم ، يشير بوجه عام إلى الإعتماد المتبادل المتزايد والمتسارع فى أرجاء العالم فى أبعاد وجوانب مختلفة ، حيث تتحول النشاطات من المجالات المحلية إلى المجال العالمى . وقد كانت المرجعية العملية للعولمة منذ القرن السادس عشر هى[1] :

أ - المجتمعات القومية . ب - النظام الدولى للمجتمعات .

ج - الأفراد . د - الجنس البشرى.

ويرسم منظروا العولمة المتطرفون صورة لعالم أطلق صراح لأعمال فيه ليخدم المستهلكين . كما فقدت الدول والقوة العسكرية أهميتها فيه أمام الأسواق العالمية . وتبعاً لوجهة النظر هذه تتباعد الإقتصاديات والسياسة ، وتتحسر الأخيرة لحساب الإقتصاد. ومع سيطرة الأسواق وإكتساب نتائج السوق الشرعية بواسطة المنافسة الحرة وإعتبارها خارج السيطرة القومية تتضاءل قدرة الدول على التحكم فى

---

(1) رونالد روبرتسون : العولمة : النظرية الإجتماعية والثقافة الكونية ، ترجمة أحمد محمود، ونور أمين ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998 ، ص 35 .

النواتج الاقتصادية أو على تغييرها بالقوة . وسوف تخضع محاولات استخدام القوة العسكرية من أجل أهداف إقتصادية ضد مصالح الأسواق العالمية لعقوبات إقتصادية مدمرة[1]، أسعار صرف سريعة الهبوط وبورصات متقلبة ، وتجارة منهارة ... وسوف تكف الحرب عن أن تكون لها أى صلة بالعقلانية الإقتصادية ، وسوف تصبح معظم المجتمعات حتماً " صناعية " بدلاً من أن تكون " محاربة " وسوف تصير الحرب ملجأ للمجتمعات الفاشلة المتأخرة إقتصادياً ، وللقوى السياسية التى تحركها أهداف إقتصادية غير عقلانية[2].

ولقد تتبع رونالد روبرتسون النشأة التاريخية للعولمة الغربية ورصد مراحل تطور العولمة عبر الزمان والمكان ، وقد انتهى روبرتسون إلى المراحل الخمس التالية[3]:

المرحلة الأولى : وهى المرحلة الجنينية :-

أى مرحلة التكوين ، واستمرت هذه المرحلة فى أوروبا من بدايات القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر ، وتميزت بنمو المجتمعات القومية واتساع مجال الكنيسة الكاثوليكية ، كما تعمقت

---

(1) Bergsten, C. Fred; Managing the World Economy of the Future; Washington 1994, p. 117.

(2) Akyuz, Y. and Corn ford, A; Controlling Capital Movement; Oxford University Press 1995, p. 54.

(3) روبرتسون ، العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية : ص 132 .

خلالها الأفكار الخاصة بالفرد وبالإنسانية . وسادت نظرية مركزية للعالم ، وبدأت الجغرافيا الحديثة ، وانتشر التقويم الجريجورى .

المرحلة الثانية : وهى مرحلة النشوء :-

وسادت هذه المرحلة فى أوروبا من منتصف القرن الثامن عشر إلى سبعينيات القرن التاسع عشر . وشهدت هذه المرحلة تحولاً حاداً فى فكرة الوحداوية المتجانسة بالإضافة إلى تبلور المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية الرسمية ، كذلك نشأ مفهوم أكثر تحديداً للإنسانية وزادت بشكل ملحوظ الإتفاقات الدولية ، وظهرت المؤسسات الخاصة بتنظيم العلاقات والإتصالات بين الدول. كما بدأت مشكلة قبول المجتمعات غير الأوروبية فى المجتمع الدولى، والإهتمام بأفكار القومية والعالمية .

المرحلة الثالثة : وهى مرحلة الإنطلاق :-

وقد استمرت من سبعينيات القرن التاسع عشر إلى منتصف عشرينيات القرن العشرين ، ويشير الإنطلاق هنا إلى الفترة التى أفسحت فيها إتجاهات العولمة فائقة القوة فى أزمنة وأمكنة سابقة الطريق لشكل واحد لايمكن إعتراضه ، يرتكز على النقاط المرجعية الأربع (المجتمعات القومية ، والنظام الدولى للمجتمعات ، ومفهوم الأفراد ، ومفهوم البشرية) ، وبالتالى القيود الخاصة بالمجتمعات القومية ، والأفراد الذين يتمتعون بالقوة والحيوية و " المجتمع الدولى "

الواحد . وقد ظهرت فى هذه المرحلة مفاهيم كونية مثل " خط التطور الصحيح " للمجتمع القومى " المقبول " ، بالإضافة إلى مفاهيم أخرى تتعلق بالهويتين القومية والفردية ، وصاحب ذلك إدماج عدد من المجتمعات غير الأوروبية فى " المجتمع الدولى " . وبدأت عملية الصياغة الدولية للأفكار الإنسانية ومحاولة تطبيقها ، فضلاً عن عولمة قيود الخبرة . كما إزدادت أشكال الإتصالات الكونية بدرجة كبيرة وتعاظمت سرعتها ، وتنامت الحركة العالمية . كذلك جرت المنافسات الكونية مثل دورة الألعاب الأوليمبية وجوائز نوبل ، إلى جانب تطبيق فكرة الزمن العالمى ، ووقعت فى هذه المرحلة أول حرب عالمية ونشأت عصبة الأمم .

المرحلة الرابعة : وهى مرحلة الصراع من أجل الهيمنة :-

واستمرت هذه المرحلة من عشرينيات القرن العشرين إلى أواخر الستينات. وقد تميزت ببدء الخلافات والحروب الفكرية حول الشروط والمصطلحات الخاصة بعملية العولمة الزائدة ، وبالصراعات الكونية حول أشكال الحياة المختلفة ، لما جرت محاولات لإرساء مبدأ الإستقلال القومى، ومفاهيم الحداثة المتضاربة (الحلفاء ضد المحور) التى أعقبتها الحرب الباردة ، كذا التركيز على طبيعة الإنسانية والأمل فى الوصول إليها بسبب الهولوكست واستخدام القنبلة الذرية وبروز دور الأمم المتحدة وظهور العالم الثالث .

المرحلة الخامسة : وهى مرحلة عدم اليقين :-

وبدأت هذه المرحلة فى أواخر الستينات ، وهى ترصد تصاعد الوعى القومى فى الستينات وحدوث الهبوط على القمر . وقد شهدت عمق قيم ما بعد المادية نهاية الحرب الباردة . وشيوع الأسلحة الذرية ، والزيادة المطردة فى المؤسسات الكونية والحركات العالمية . وتواجه المجتمعات الإنسانية فى الوقت الحاضر مشكلة تعدد الثقافات وتعدد السلالات داخل المجتمع نفسه ، وصارت المفاهيم المتعلقة بالأفراد أكثر تعقيداً من خلال الاعتبارات المتصلة بالجنس والسلالة ، كما ظهرت حركة الحقوق المدنية ، وترسخ الإهتمام بالبشرية كمجتمع أنواع ، وأصبح النظام الدولى أكثر سيولة . كذلك انتهى النظام ثنائى القومية ، وازداد الإهتمام بالمجتمع المدنى العالمى ، وبالمواطنة العالمية ، وجرى دعم نظام الإعلام الكونى ، بما في ذلك التنافس حول هذا الأمر وبخاصة ما يتصل بالإسلام كحركة تناقض العولمة .

إن كلام رونالد روبرتسون هذا يجانبه الصواب- من وجهة نظرى- فى نقطتين رئيسيتين، الأولى تتعلق برصده لمراحل تطور العولمة عبر الزمان والمكان، حيث رأى أن المرحلة الأولى أو الجنينية بدأت فى أوروبا من بدايات القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر. وقد أثبتُ فى بداية هذا الكتاب أن ظاهرة العولمة أقدم من ذلك بكثير حيث قدمت نموذج الاسكندر الأكبر ومحاولته غزو العالم، كما أفردت المبحث الأول من هذا الكتاب لعالمية الإسلام ، وكيف

استطاع هذا الدين الحنيف أن يجمع معظم أرجاء العالم تحت رايته السمحاء. وذلك إنما يمثل ردى على النقطة الثانية التى ذكرها روبرتسون من أن "الإسلام حركة تناقض العولمة" ويبدو أن روبرتسون لم يدرس ولم يع درس التاريخ الإسلامى، ولو كان فعل، لوجد أن الإسلام، كدين شرائعي، وكنظام سياسى لا يتناقض مع مفهوم العالمية ، حيث أنه فى حقيقة أمره الدين السماوى الوحيد الذى جاء لكل الأمم ولم يختص بأمة معينة كغيره من الأديان السابقة عليه ، فالإسلام يصلح كعقيدة وكنظام سياسى لأن يطبق ويتبع فى كل زمان ومكان ، لأنه يستهدف صلاح البشر دون تميزهم ، تحقيقاً لإنسانية الإنسان وعمارة الدنيا ، وإقامتها على أساس من الحق والعدل المطلق ، والفضائل والوحدة الإنسانية ومصلحتها العليا ، وما يستلزم ذلك من تحقيق التكافل الإنسانى الملزم فى مجالات الحياة كلها والتعاون المثمر على الصعيد الدولى بشتى الوسائل الممكنة ، على الرغم من اختلاف الأديان[1]. صحيح أن الإسلام يناقض العولمة كما ذكر رونالد روبرتسون لكنه لم يقصد بالطبع أنه يناقضها فى أفكارها التى تضر بإنسان لصالح إنسان آخر ، لا كحركة تفيد الإنسانية أجمع .

على أية حال ، يرى البعض أن التقدم والتطور التكنولوجى هو العامل الأساسى المسئول عن عودة ظاهرة العولمة واستمرارها

---

(1) راجع ، مبحث عالمية الإسلام من هذا الكتاب.

وتسارعها فى الوقت الحالى، وأنه أهم قواها الدافعة ، وأكثر العوامل المتصلة بالعولمة اكتفاء بنفسه ، حيث يعتمد فى وجوده على الميل الطبيعى للإنسان لتخفيف ما يبذله من جهد وما يعانيه من تعب ومشقة فى سبيل البقاء على قيد الحياة أو من أجل الإنتاج والإستهلاك. فالإنسان لا يألو جهداً فى تطوير التكنولوجيا كى يشبع حاجاته بأقل جهد ممكن وهو فى فترة تطويره للتكنولوجيا يندفع نحو المزيد ثم المزيد من العولمة[1].

فالإنسان يطور التكنولوجيا باستمرار ، وكأنه مدفوع " بيد خفية" إلى ذلك ، من أجل أن يشبع حاجاته بأقل جهد ممكن ، وهو فى خلال تطـويره للتكنولوجيا ينـدفع ، دون أن يكـون هـذا بالضرورة جزءاً من مخطط واع ومدبر ، نحو المزيد ثم المزيد من العولمة[2]. حيث إن التطور التكنولوجى وإن كان يهدد الإنسان الفرد فى توازنه المادى والنفسى ، فإنه أيضاً يهدد الإنسان من حيث أنه إنسان بشرى عامة ، وذلك من خلال شهوة السيطرة وقهر الآخرين ، فإن هذه الشهوة تزداد قوة وسطوة كلما زاد حجم هذه السيطرة وهذا القهر من خلال شهوة إخضاع الآخرين بالقوة المادية ، كلما زادت الأسلحة المنتجة، وخاصة المغرية منها للطبيعة البشرية.

---

(1) عـاطف السـيد : العولمـة فـى مـيزان الفكر، دراسة تحليلية ، مطبعة إيبصار ، الإسكندرية ، 2001 ، ص1.

(2) جلال أمين : العولمة ، م. س ، ص52 .

وهذا واضح فيما نراه اليوم من " هوس التكنولوجيا" (إن جاز لنا استخدام هذا التعبير) لدى الشباب العربى، فالتطور الفائق فى الأونة الأخيرة، الذى حققته الدول الغربية فى وسائل البحث التكنولوجى والذى أدى بدوره إلى خفض تكلفة المنتج ، أدى إلى انخفاض فى أسعار الإنتاج أو السلع المنتجة، والذى جعل معظم طبقات الشعوب، وخاصة شعوب الدول النامية أو العالم الثالث ، قادرة على شراء هذه السلع سواء ما هو ضرورى منها أو ما هو كمالى فى الحياة من مأكل وملبس ووسائل ترفيه وغيرها ، ومن أمثلة ذلك هوس المحمول لدى الشباب وكذلك الأمر بالنسبة إلى الكمبيوتر، والدش والانترنت.. وغير ذلك.

وعلى كلٍ، فالعولمة فى تطورها تعمل بانتظام على إيجاد وبناء حضارة جديدة ، بكل مقاييس الحضارات السابقة ، لكن بأبعاد تكنولوجية جديدة غير مسبوقة ، وهى حضارة ثقافية مختلفة اختلافاً كاملاً عن كل ما عرفه العالم من قبل ، فى جوانبها الإنسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .... ، وهى حضارة فكرية من الدرجة الأولى.

إن العالم بهذه المتغيرات يتجه نحو نظام عالمى جديد ، يتغير فيه نمط الحياة تماماً ، وأصبح يعيش حضارة الثورة الثالثة التى تشهد سرعة المتغيرات ، كما فرضت نوعية جديدة من التكنولوجيا المتقدمة ، والتى تحتاج إلى عمالة على مستوى عالٍ من التعليم والتدريب والقدرة على التحول من مهنة إلى أخرى ، واتخاذ القرار على خط الإنتاج

مباشرة[1]. ولما كان التوجه الفكرى هو الذي يتحكم فى باقى أجهزة الدولة جمعاء كان ترتيب تناولنا لأبعاد العولمة على النحو التالى :

أولاً : العولمة الثقافية .

ثانياً : العولمة السياسية .

ثالثاً : العولمة الاجتماعية .

رابعاً: العولمة الإقتصادية .

---

(1) حسين كامل بهاء الدين : التعليم والمستقبل ، دار المعارف ، القاهرة ، 1997 ، ص 34 – 35.

أولاً : العـــولمـــة الثقـــافيـــة :

يتساءل "مايك فيذرستون": هل هناك ثقافة عالمية ؟ ويستطرد لو كان المقصود بمصطلح " الثقافة العالمية " شيئاً شبيهاً بثقافة الوثيقة القومية إذن فالإجابة بالنفى . ويكون الإخفاق من نصيب مفهوم الثقافة العالمية فى هذه المقارنة ، لأن صورة ثقافة الدولة القومية هى صورة تؤكد التجانس والإندماج الثقافى . وفى هذا النمط الفكرى يستحيل تميز ثقافة عالمية مدمجة دون تكوين دولة عالمية ، وهى فكرة مستبعدة[1]. حيث إن كثيراً من " الثقافة المكثفة " العالمية تحفل بالأفكار والأنماط والتوجهات الخاصة بالدين والموسيقى والفن والطهى وغير ذلك . والحقيقة أن مسألة تحديد ما يتحقق له الإنتشار عالمياً وما لن يتحقق له الإنتشار هى مسألة ذات أهمية كبيرة فى الموقف العالمى الراهن . ونحن نعلم بالطبع أن مسألة ما يتحقق له الإنتشار يتوقف جزئياً على قضايا السلطة ؛ ولكننا نخطئ إذا اعتبرنا ذلك مجرد مسألة هيمنة توسعية للحداثة الغربية[2].

---

(1) مايك فيذرستون وآخرون : ثقافة العولمة، القومية والعولمة والحداثة ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، المشروع القومى للترجمة (132) ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2000 ، مقدمة المترجم ، ص 3.

(2) رولند روبرتسن : محلية العولمة : الزمان – المكان والتجانس والتغاير، مقال منشور فـــى " محدثات العولمة " تحرير مايك فيذرستون وأخرون ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، مـــراجعه وتقديـــم د. جابـــر عصفور ، المشروع القومى للترجمة (93 المركز المصرى العربى ، 2000 ، ص 51 .

و لكى نفهم هذه الثقافة الغربيـــة ولكى نتحـــدى تلك الهيمنـــة الغربية ، فلابد من نبذ المنطق المزدوج الذى يسعى إلى فهم الثقافة من خلال التجانس والمغايرة ، والإندماج والتفكك ، والتوحد والتنوع ، وهى مصطلحات مطلقة بطبيعتها . وهذه المتقابلات الفكرية لا تتعامل مع أحسن الفروض إلا مع وجه واحد من الشكل المنشورى الذى تمثله الثقافة . فنحن فى حاجة إلى البحث فى مختلف عمليات الاندماج ومن ضمنها تكوين صور وثوابت ثقافية وصراعات بين الجماعات وأشكال من الإعتماد المتبادل ممايؤدى إلى التناقضات الفكرية التى تتحول إلى أطر مرجعية لفهم الثقافة ضمن مجتمع الدولة وبذلك يتم إسقاطها على العالم[1].

وتدعو العولمة إلى إيجاد ثقافة كونية أو عالمية تحوى منظومة من القيم والمعايير لفرضها على العالم أجمع. والعولمة الثقافية تؤدى إلى الإنقسام والتفكك وإحداث شروخ فى الأبنية الثقافية للشعوب، فضلاً عن محاولة طمس معالم الثقافة الوطنية أو إظهارها بمظهر العاجز، حيث تفرض العولمة فكراً يعتمد على ما أنتجته ثورة المعلومات والتكنولوجيا. ولذا فالعولمة الثقافية - من وجهة نظرى- خضوع الشعوب غير المسيطرة لثقافة الشعوب الغربية المسيطرة، وخضوع ثقافة هذه الشعوب أيضاً للمعايير السائدة فى سوق السلع وغياب دور الدولة .

---

(1) مايك فيذرسون : ثقافة العولمة :القومية والعولمة والحداثه ، ص 3 ، 4 .

ولقد استفادت إدارة لعبة الثقافة من أجل الهيمنة والأحتواء وأساليب التأثر والتأثير المتبادل والتعبيرات الاصطلاحية المتداولة فى نشر ثقافتها الخاصة وغزو العقول واستباحة ثقافات الشعوب خطوة بإتجاه تجنيدهم واندماجهم فيها[1]. إن ما يسمى " بثقافة العولمة " يحمل ثقافـــة جديدة بصرف النظر عن انطباق المفهـــوم العلمـــى أو الأخلاقـــى للثقافة على الغزو الفكـــرى ، والطوفان المعلوماتى ، والرموز التى تُشيِّعُها وتنشرها العولمة بكل وسائل الإتصال الحديثـــة فائقة القـــدرة ، ووسائل الإعلام فائقة السيطرة بما فيها من سينما وتليفزيون وإذاعة وصحف وكمبيوتر. وكلها تبشر بثقافة جديدة يطلق عليها البعض ثقافة " القطيع الإلكترونى" و البعض الآخَر يطلق عليها ثقافة عالم ماك نسبة إلى سلسلة ماكدونالد الغذائية الشهيرة ، والبعض ينسبها صراحة إلى الثقافات الأمريكية[2].

وفَهِمَ الكثيرون أن العولمة الثقافية تعنى سيطرة ثقافة الغرب على الثقافات الأخرى من خلال استثمار مكتسبات العلوم الثقافية فى ميدان الإتصال. وليس بخافٍ علينا أن الثقافة الأمريكية هى المسيطرة على الثقافة الغربية . وقد أخذت أوروبا وبخاصة فرنسا تُنَظِمُ المقاومةَ ضدّ

---

(1) آدم مهـــدى أحمد : العولمة وعلاقتها بالهيمنة التكنولوجية ، الشركة العالمية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2000 ، ص 44 .

(2) حســين كـــامل بهـــاء الديـــن: الوطنـــية فى عالم بلا هوية ، تحديات العولمة ، دار المعارف، القاهرة ، 2000 ، ص : 148 ، 149 .

الثقافة الأمريكية باعتبار أنها خطراً استراتيجياً يهدد استقلالها السياسى والاقتصادى وهويتها الثقافية[1]. وهذه المقاومة ، من وجهة نظرى ، لا تلغى الحقيقة الأساسية التى تكمن وراء استمرار الرغبة الأوروبية فى اجتذاب الاستثمار الأمريكى المباشر للاستفادة من المجال التكنولوجى وتضييق الفجوة التكنولوجية .

إلا أن المشكلة الأولية فيما يتعلق بمفهوم "ثقافة عالمية" هى مشكلة معانى مصطلحات. فهل نستطيع أن نتحدث عن " ثقافة " بصيغة المفرد ؟ وإذا كان المقصود بلفظ "ثقافة" هو نمط حياة جماعية أو رصيد من المعتقدات والأنماط والرموز والقيم، فإننا لا نستطيع أن نتحدث إلا عن " ثقافات " وليس مجرد "ثقافة"، فنمط الحياة الجماعية أو رصيد المعتقدات وما إلى ذلك ، كلها مفاهيم تفترض أنماطاً وأرصدة مختلفة فى عالم من الأنماط والأرصدة ؟ لذا فإن فكرة "ثقافة عالمية" لا تنطبق عملياً إلا بين الكواكب . وحتى إذا كان المفهوم يتعلق ضمنياً بالبشر فى مقابل سائر الأنواع ، فإن الإختلافات بين قطاعات البشر من ناحية نمــط الحياة ورصيــد المعتقدات تعتبر أكبر،والعناصر المشتركة أكثر عمومية من أن تسمح لنا ولو بتصور وجود ثقافة عالمية[2].

---

(1) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 63 .

(2) أنتونى سميث : نحو ثقافة عالمية ، مقال منشور فى [مايك فيذرستون]: ثقافة العولمة ، القومية والعولمة والحداثة ، مرجع سابق ، ص 163 .

إن هناك ثقافات تاريخية محددة لها دلالات عاطفية قوية لدى المشاركين فى الثقافة الخاصة . ويمكن بالطبع " اختراع " بل تصنيع مواريث كالسلع لخدمة طبقة محددة ، إلا أنها لن يكتب لها البقاء إلا كجزء من مخزون الثقافة القومية . وكانت هذه هى الغريزة التى هددت معظم القوميين وساعدت على ضمان نجاحهم الدائم . فكان حفل التتويج البريطانى مثلاً فى القرن التاسع عشر يرجع إلى قدرة من أحيوه على الإرتكاز إلى مواريث أقدم كثيراً كانت ذكرياتها لاتزال حية ، ومع أن هذا الإحياء يعد جديداً ، فإن هذه المواريث لم تتمكن من الازدهار ، إلا لأنها تم تقديها وحازت القبول باعتبارها استمرار لماضى له قيمته الحية[1]. وعلى ذلك فإن مشكلة الثقافة الكونية والخصوصية الكونية تمثل جوهر الخلاف حول العولمة ، ذلك لأنها فى مسيرتها الإقتصادية الحرة عبر الحدود دون حواجز أو قيود تنشر مجموعة من القيم السياسية والاجتماعية والثقافية .

وعلى ذلك فإن الهدف الرئيس للعولمة فى جانبها الثقافى هو بناء ثقافة كونية شاملة النشاطات الإنسانية المختلفة . ويعتقد البعض أن هناك ضغوطاً هدفها صياغة مجموعة ملزمة من "القواعد الأخلاقية الكونية "، وأن هناك أكثر من مشروع لصياغة هذه القواعد الأخلاقية، التى يهتدى

(1) Hobsbawm, Eric and Ranger, Terence; The Invention of Tradition; Cambridge

بعضها بالأديان السماوية ، إلى جانب الخبرة الإنسانية ، وما يسمى بـ " الثقافة المدنية " التى تركز على الديموقراطية واحترام حقوق الإنسان[1].

وعلى هذا تمثل العولمة تحدياً ثقافياً غير مسبوق ، تحدياً ذو طابع إرتقائى خاص قائم على الاجتياح الثقافى ، ويتم هذا الاجتياح على ثلاث آليات هى[2]:

الآلية الأولى: تفقد الدول الصغيرة ثقافتها تحت ضغط إجتياح التيار الثقافى العالمى ، وتبدأ فى التخلى بالتدريج عن خصائصها الثقافية لصالح الثقافة العالمية ، وهى مرحلة دقيقة على استلاب الثقافات المتعددة لصالح الثقافة العالمية الواحدة .

الآلية الثانية:الإنقسام والتفكك والتشرذم الداخلى، وظهور الشروخ والصدع الثقافية والحضارية ، وظهور الثقافة الوطنية فى صورة باهتة عاجزة عن تقديم الشخصية الراقية ، فى الوقت الذى تظهر فيه ثقافة العولمة الزاهية الألوان والإرتقائية .

---

(1) السيد يسن : العولمة والطريق الثالث ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، 1999، ص 40 – 41 .

(2) محسن أحمد الخضيرى : العولمة ، مقدمة فى فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة ، م. س ، ص 26 .

الآلية الثالثة: ظهور روابط وجسور وأدوات تحليلية مهمتها الرئيسية إيجاد معايير قيم للعبور عليها إلى الثقافة العالمية، والوصول بالفكر الثقافى إلى أرجاء المعمورة، ومن ثم يُحْدِثُ نوعاً من التواجد الثقافى .

إلا أننى أرى أن هذه الآليات الثلاثة لا يمكن أن تحدد كل أنواع الاجتياح الثقافـــى ، حيث إن تأثير عولمة الثقافة شئ غير محدود يمثل تلك الآليات ، بل إنه أمر قد يكون مغايراً تماماً لما يمليه من توحيد بين عدة حقائق متباينة ، وبين اتجاهات مختلفة ، وليس لدى الجميع إلا أن يقبل دعواها ، وأن يقبل ويوافق على أرائها، كحتمية يصعب مقاومتها .

إن العولمة تحمل دائماً فى طياتها نوعاً من الغزو يدعى "الغزو الثقافى" ، وهو نوع من القهر ، قهر الثقافة الأقوى لثقافة آخرى أضعف منها ؛ مثل الذى فعله المهاجرون الأوروبيون إلى استراليا لسكانها الأصليين ، وسائر صور الاستعمار الأخرى ، التى هى أيضاً صور للعولمة والغزو الثقافى فى نفس الوقت[1] . فعلى سبيل المثال ، تشكل عولمة الإعلام والاتصال تهديداً للتعددية الثقافية فى بعض المجتمعات الأقل تطوراً. فالثقافة العربية مثلاً تعانى من ازدواجية نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية بتقنياتها وعلومها وقيمها الحضارية[2].

---

(1) جلال أمين : العولمة ، ص 50 .

(2) أحمـــد مجـــدى حجازى : الثقافة العربية فى زمن العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 41 .

ومن أخطر سلبيات العولمة " خلط الثقافات " أو محاولة إحلال مفاهيم الثقافة ومفاهيم الحضارة العلمانية الغربية الحديثة مكان مفاهيم الثقافة ومفاهيم الحضارة الإسلامية فى المجالات المختلفة أو محاولة إيجاد ثقافة واحدة سائدة ومسيطرة على العالم ببحث وإبراز ما هو مشترك بين الثقافات المختلفة[1] .إن عملية خلط الثقافات تدور فى ظل تعتيم إعلامى طاغٍ ومسيطر وهى كما أسلفت وليدة الغزو الفكرى والغزو الثقافى والتغريب ، ولكن العولمة تعتمد عليها فى انتشار وسيطرة الثقافة العلمانية الغربية الحديثة كما سيطـرت وسـادت الليبراليـة السياسية والاقتصادية على العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتى.

إن عملية خلط الثقافات – من وجهة نظرى – ما هى إلا عملية تغريب Westernization العالم بأسره ونقل الثقافة والحضارة والنمط الغربى إلى كافة دول العالم باعتباره النمط الأمثل ، ذلك النمط الذى هو مجرد غطاء لتحقيق مزيد من تنامى الرأسمالية وإيجاد هيمنة متزايدة ، تخدم فى المقام الأول مصالح القوى الكبرى فى العالم وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية .

وترجع قوة النفوذ الثقافى الأمريكى إلى سيطرة الاقتصاد الأمريكي بالإضافة إلى اعتماد اقتصاديات أخرى على الاستهلاك فى الولايات المتحدة

(1)محمد الجوهرى حمد الجوهرى : العولمة والثقافة الإسلامية ، ص 74 .

الأمريكية. فضلاً عن هيمنة شركات الإعلان الأمريكية على التسويق العالمى مما أدى إلى عالمية أساليب الدعاية والتسويق ، أضف إلى ذلك تفوق الولايات المتحدة فى المجالات الثقافية الشعبية وبخاصة فى صناعتى الأفلام والموسيقى. وقد استغلت الولايات المتحدة تميزها الكبير فى الإنتاج الفنى التلفازى وفى الصناعات الترفيهية وشركات الأقمار الصناعية فى التأثير فى الأفراد والمجتمعات[1] .

ومن ثم فليس غريباً أن العولمة الثقافية ليست أحادية الجانب ولا تأخذ نموذجاً محــدداً دون آخر بل كانت ومازالت مدار صراع تاريخى محكم ما بين الثقافات الإنسانية عموماً، والأنجلوسكسونية والتى تتزعمها حالياً الولايات المتحدة الأمريكيــة، والفرانكوفونية التى تدعوا لها فرنسا بقوة وفاعلية لأنها استندت إلى إرث تاريخى ولدته شعارات الثورة الفرنسية وأنماط الإستعمار القديم. والاستقطاب الحديث من خلال اختراقات الجذب الثقافى الفرنسى للمفكرين والكتّاب والفنانين من كافة الشعــوب والجنسيات ومحاولة ادماجهم فى مظلة ثقافتها الفرانكوفونية[2].

إلا أن أخطرها من وجهة نظرى، مع الأخذ فى الاعتبار العولمة الآسيوية بزعامة اليابان ، هى عولمة الثقافة الأمريكية بنمط تفكيرها الآلى والحركى لمنهج المنفعة والاحتواء .

---

(1) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 63 – 64 .

(2) آدم مهدى أحمد : العولمة وعلاقاتها بالهيمنة التكنولوجية ، ص 43 – 44 .

وعلى هذا ، فيمكن القول بإن طبيعة ثقافة العولمة ، مادية بحتة، لا مجال فيها لروحانيات أو عواطف ولا مساحة فيها للمشاعر الإنسانية، ولا للعلاقات الاجتماعية القائمة على التعاطف والتكافل والاهتمام بالآخرين. بل إنها ثقافة تروج لتمجيد الربح وسحق المنافسين، وتؤله المال وتلغى كل ما عداه من قيم ... إنها ثقافة تشكل عالماً يجعل من السهل فيه التشجيع على الانتهازية والجشع والوصول إلى الأهداف بأى وسيلة[1]. ويعبر عن ذلك أنتونى سميث ، خير تعبير حين رأى أن أية ثقافة عالمية انتقائية وكونية وغير محددة بزمان هى ثقافة منشأه أو الحلقة الأخيرة من سلسلة كاملة من المنشأت الإنسانية فى حقبة التحرر الإنسانى وسيطرة الإنسان على الطبيعة . وكانت الدولة أيضاً منشأة من هذا النوع ، فهى " جماعة افتراضية " ذات سيادة ولكنها محدودة[2] .

هذه المجالات الثقافية هى بالطبع صرخة أطلقها ممثلى الثقافة العالمية وستمحو الثقافات القومية العديدة التى لاتزال تقسم العالم بصورة مدوية. وسمتها التجمعية الحرة ومزيج ثقافاتها لم يمثل بعد تحدياً حقيقياً للثقافات القومية المدمجة والتى يتم إحياؤها من حين لآخر . وقد تؤدى

(1) حسين كامل بهاء الدين : الوطنية فى عالم بلا هوية ، ص 150 – 151.

(2) أنتونى سميث : نحو ثقافة عالمية ، ص 169 .

الهجرة و الإختلاط الثقافى إلى ردود أفعال عرقية قوية من جانب الثقافات المحلية كما حدث فى بعض المجتمعات الغربية[1] .

وفى وسط هذا الجو الثقافى العالمى ، قد يتمكن التطبيق الدينى من ملئ الفراغ الذى يحدث فى بعض الثقافات فلما كان أتباع مختلف الأديان حول العالم لايزالون محليون فى قليل أو كثير ، فإن القيادات تستطيع أن تعبر عن الصراعات والخلافات الإقليمية من منظور دينى . وهنا يقدم الخيار المحافظ القائم على المجتمعات التقليدية ذات التوجهات العامة مزايا كبرى ، فحله لمشكلة التسامى يسمح بتقسيم تقريبى للعالم إلى " نحن " و " هم " . ورسالة واضحة كهذه قد تؤدى فى ظل الظروف المناسبة إلى النجاح فى تعبئة السكان جميعاً . وحينئذ يصبح التسيس على هذا الأساس الدينى سبيلاً للمناطق لتؤكد نفسها فى مواجهة العولمة، وظهرت أوضح أمثلة حركات التطبيق الدينى المحافظ فى الشرق الأوسط الإسلامى، وبين السيخ فى البنجاب .... وغير ذلك من البلدان[2].

وعولمة الثقافة – من وجهة نظرى – بناء على ما سبق تقتضى من الإنسان الفرد – خاصة فى بلداننا العربية – أن يكون على وعى

(1) Samuel, Raphael (ed)Patriolism : The Making and Un making of British National Identity, vol. II: Minorities and Dutsiders. London and New York : Routledge, vol. II, p. 186 .
(2) Arjomand, Said Amir, The Turban for the Crown : The Islamic Revolution in Iran. New York : Oxford 1988, p. 69.

بأصوله الدينية والعلمية والثقافية الأمر الذي يتطلب رجعة إلى الوراء إلى التراث العربى الإسلامى الأصيل واعتباره وسيلة فاعلة تعمل على القفز إلى الأمام.

هناك إرتباط قوى قديم بين الجغرافيا والثقافة ، حيث أن تراث العالم الثقافى والحضارى يتفاعل مع المكان ، فنرى على سبيل المثال أن حضارة مصر القديمة ، حضارة تعبر عن واقعها العملى الذى لا يدعو إلى التكاسل أو التأمل ، فنراها تتجسد فى كم هائل من المعابد والمقابر والأهرامات وغير ذلك مما يدل على واقعها الجغرافى الجاد ، وحتى عند مجئ الإسكندر الأكبر إليها ، ولَمِسَ هذا الواقع العملى المهتم بالعلم فعمل على إنشاء مدينته التى طالما حلم بها(1)، وهى الإسكندرية، وفيها لمس البطالمة الموقع الجغرافى أيضاً فأنشئوا مكتبة الإسكندرية لتعبر عن هذا الينبوع العلمى العملى الجاد .

وعلى النقيض ، نجد أن الحضارة اليونانية حضارة فكرية أكثر منها عملية ، وهذا أيضاً مرتبط بالجغرافيا اليونانية ذات الجبال العالية الداعية إلى التأمل أكثر منها إلى العمل ، فنجد أن اليونان يرفعون من قيمة التأمل الذى هو خُلق السادة ، أما التجربة والعمل فهى أمور تناسب شيم العبيد، فلم تظهر التجربة إلا بعد أن رجعت الحضارة مرة أخرى

---

(1) راجـــع، خالد حربي، نشأة الإسكندرية وتواصل نهضتها العلمية، الإسكندرية 1999، ص21.

إلى أرض العمل والجدية أرض العرب ، ومنها مصر ، وهذا واضح جلى فى تاريخ العلم .

وقد أدى الإرتباط ما بين الثقافة والجغرافيا فى عصر العولمة إلى إحداث تنمية ثقافية وتطور ثقافى لكل أنواع الثقافات سواء كانت ، ثقافة تقليدية فطرية أو مكتسبـــة ، أو ثقافة غير تقليدية مبتكرة ، وترسيخها كأداة تنظيم للسلوك الفردى والجماعى ، وما تغرسه فى الأفراد من ضوابط وما تضعه لهم من مبادئ حاكمة ومتحكمة ، ومن خلال تمجيدها لعادات وتقاليد وأعراف وقيم بذاتها ، أو من خلال نبذها ورفضها لقيم وأعراف وتقاليد وعادات أخرى[1].

ولابد أن نخلص أيضاً إلى الطابع الغالب على عولمة الثقافة الغربية والأمريكية على حد سواء، ذلك الطابع التنافسى ممثلاً فى العولمة والعولمة المضادة، أو عولمة الأقوياء وعولمة المستضعفين، أو إن شئت قُل: عولمة المصدر المهيمن وعولمة المستورد المهيمن عليه. فالعولمة توسع نطاق صراع الحضارات وتنطوى على كثير من التحديات، خاصة بالنسبة لمن يحلمون ويعملون بفاعلية وإيجابية لتحقيق حلمهم .

وهذه التدفقات الثقافية العالمية ليست نتاج للتدفق والتبادل بين الدول ولكنها جزء لا يتجزأ من العمليات التى تتم على نطاق عالمى .

---

(1) محسن أحمد الخضيرى: العولمة الإجتياحية، مجموعة النيل العربية 2001 ، ص 196 .

ومن ثم فإنه ليس من الدقة أن نزعم – على نطاق عام كلى – بأن الثقافة العالمية تهدد الثقافات المحلية وتضعفها أو تنطوى على هيمنة عالمية – والواقع أن الثقافات المحلية المختلفة والمتعددة الثرية بمضامينها شديدة المحلية تقاوم الثقافة العالمية وتغذيها فى الوقت نفسه بعناصرها المحلية الثرية أيضاً[1] .

وينتصر المفكر الفرنسى روجيه جارودى لخصوصية الثقافة والإبداع حيث يجد العولمة خطراً يهدد مستقبل الإنسان فى حريته وفى تمايزه الحضارى والثقافى . ويحذو فردريكو ومايور – مدير اليونسكو السابق – حذو جارودى فى انتصاره لخصوصية الثقافة حيث يقول :
" إن الحياة دفق دائم بمعنى أن كل شئ يتغير كل يوم فى أجسامنا وعقولنا .. فيما نفكر ونتخيل ونحلم ونشعر ونتعلم ونحب أو نرفض . نتيجة لذلك كله : هو سلوكنا ذلك التعبير السامى عن الثقافة "[2].

ويحذر فيدريكو مايور – يحذر من العولمة التى تدعو إلى فناء الذات الثقافية للجماعات، ويرى أن ذلك اعتداء على كرامة الإنسان واختياره. وكان مايور قد قرأ الآية الكريمة : ((وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوُباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)) وهى الآية التى جعلت التعارف الغاية من الخلق[3]، أى إتاحة السبل أمام

---

(1) راجع بهاء شاهين : العولمة والتجارة الإلكترونية ، رؤية إسلامية ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2000 ، ص 20 – 26 .
(2) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 61 .
(3) الغاية من هذه الآية هو التعارف و معرفة الأنساب ووجود تراحم بين الناس بواسطة ذلك ، أما الغاية من الخلق فهو العبادة كما فى قوله سبحانه وتعالى " وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ " .

الشعوب لتبادل الثقافات والإعتراف بالآخرين ، وهو ما يتفق مع العالمية لا العولمة التى تهدد الخصوصية الثقافية[1].

إلا أنه يوجد – من وجهة نظرى – جانب هام لعولمة الثقافة ألا وهو : التطور التكنولوجى ، فما هو إذن حقيقة هذا الجانب ؟!

يمكن النظر إلى التطور التكنولوجى باعتباره قوة خارجيـــة ، بغض النظـــر عن السياسات الوطنية للحكومات ، تدعم وتؤكد الروابط الدولية ، ذلك أنها توسع نطاق البعد العالمى فى الشئون الاقتصادية . إذ أن أجهزة الكمبيوتر الحديثة وتكنولوجيا الاتصالات والنقل تولد عنها إمكانات هائلة لما يطلق عليها أحياناً عوائد ضغط الزمان والمكان Time - Space Compression[2]. كما أصبحت صناعات كثيرة غير مقيدة نسبياً بحدود مواقع الإنتاج ومصادر المواد الخام أو حتى القرب من الأسواق – إذا أصبحت القدرة على تشغيل الإنتاج وتوزيعه دولياً (من خلال التجارة الإلكترونية والإنترنت) إحدى النتائج الهامة والواضحة لذلك ، مما أدى إلى ظهور ما يمكن أن نطلق عليه " الصناعات العالمية World industries " ، والقضاء على طغيان المسافة والحدود الجغرافية Tyranny of distance .

---

(1) المرجع السابق : ص 62 .

(2) بهاء شاهين : العولمة والتجارة الإلكترونية ، ص 32 – 33 .

وقد أحدث ذلك إنقلاباً كبيراً فى العالم ، حيث تلاشت حدود المكان وفواصل الزمان ، وأصبح من الممكن لأى إنسان فى أى مكان وفى أى وقت ، أن يتعامل مع المشروعات والشركات فى أى مكان من العالم ، وأن يجرى معها معاملاته بيعاً وشراءً ، نقداً وآجلاً، وذلك من خلال شبكة الإنترنت.

وقد ساعدت شبكة الإنترنت على زيادة الإحساس بالعولمة فى مجال عقد الصفقات ، وعلى ازدياد اعتماد رجال الأعمال عليها فى هذا المجال نظراً لما تتيحه لهم من بيانات ومعلومات ، فضلاً عن تزايد عدد العاملين عليها . وقد تزايد الاعتماد على شبكة الإنترنت واتسع ليشمل[1]:

1- مبيعات الأوراق المالية من الأسهم والسندات والصكوك والأوراق التجارية والمالية الأخرى.

2- مبيعات البحوث والدراسات والمعلومات من مراكز المعلومات المختلفة .

3 - العمليات البنكية والمصرفية المختلفة للعملاء وقبول ودائعهم وبطاقات الدفع الخاصة بهم .

ويتعامل مع الإنترنت ما يزيد عن (1000 مليون) فرد يومياً على مستوى العالم ومن المتوقع أن يتضاعف هذا العدد فى السنوات المقبلة ،

---

(1) محسن أحمد الخضيرى : العولمة مقدمة فى فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة ، ص 82 .

وقد أسست شبكة الإنترنت اقتصاداً خاصاً بها ، يتصف بالنمو السريع الذى يبلغ معدله (174.5 % سنوياً)، فقد بدأ هذا الاقتصاد بحجم لا يزيد عن (5 مليارات دولاراً عام 1995) ، ويبلغ الآن ما يزيد عن (300 مليار دولار فى عام 1998).

والشروط التى يمليها " القطيع الإلكترونى " نمطية وإجبارية ، وهى :

1- الخصخصة لكل الشركات المملوكة للدولة .
2- تحرير التجارة الداخلية والخارجية .
3- رفع الحواجز الجمركية والحد من التضخم .
4- تقليص قدرة البيروقراطية الحكومية .
5- إلغاء كافة القيود على الاستثمارات الأجنبية .
6- تحرير أسواق المال .
7- حرية الأجانب فى التملك .
8- إلغاء الدعم .
9- تحرير نظام التأمين والمعاشات وترك المسئولية فى ذلك للأفراد.
10- النمطية فى نظام المحاسبة والمراجعة المالية الخاضعة للإشراف العولمى .

هذه المحاور العشرة ، اقتصادية واجتماعية ، إلا أنها تتعلق بسيطرة التكنولوجيا على ثقافة وحضارة الشعوب إذ أن الحياة بكل

أبعادها تشكل بناءً متكاملاً ، وعلى أية حال فهذه السيطرة التكنولوجية ينتج عنها إنحلال خلقى وتفكك أسرى وعنف ، وتهرب من المسؤلية ، بل من الحياة ذاتها بوسائل الانتحار المبتكرة حديثاً ، فهذه ظواهر واقعة فعلاً وتجتاح كثيراً من دول الغرب المتقدمة، وخير دليل على ذلك أن المفكـرينَ الأمريكيـين أنفسهـم يقـررون بأن " المجتمع الأمريكى متسمم بالتكنولوجيـا Technologically Intoxicated Society " .

والحقيقة إن الدعوة لتدخل الحكومات فى حرية شبكة الإنترنت تتبع من دعاوى أخرى عديدة – غير الخوف من إنهيار الثقافة العلمانية الغربية وغزوها – مثل الخوف من تآكل سيادة الدولة وغير ذلك من الحجج والذرائع . إن تضيق الفجوة بين الأغنياء والفقراء ، ومبادئ العدالة الاجتماعية وحماية الضعفاء والمساواة فى الحقوق كلها ذرائع تتخذها بعض الحكومات للسيطرة على شبكة الإنترنت[1] .

وإن كنا نتكلم عن محاولة الحكومات للسيطرة على شبكة الإنترنت فإن ذلك ، يتعلق – من وجهة نظرى – بعملية إصدار قرارات سياسية تجاه هذا الموضوع ، ومن ثم فإننا إذن دخلنا فى مجال الحديث عن عولمة السياسة أو الجانب السياسى للعولمة ، فما هو إذن حقيقة هذا الجانب وما هى أبعاده ؟!

ذلك ما ستحاول الصفحات القادمة الإجابة عنه.

---

(1) محمد الجوهرى حمد الجوهرى : العولمة والثقافة الإسلامية ، ص 39 .

ثانيـــا :العولمــــــة السياســـيـــة :

على اعتبار أن أى مجتمع يمثل منظومة كبرى ، فإن هناك أهدافاً لهذه المنظومة هذه الأهداف تتشكل وتتبدل وتتطور طبقاً لطموحات وقدرات المجتمع ، وكذلك طبقاً للتحديات الخارجية الواقعة عليها ، إن عملية تحـــديد أهداف هذه المنظومة الكبــرى (المجتمع والدولة) هى عملية سياسية ، وبالتالى لا ينجح أمر ما فى أن يكون هدفاً على مستوى الدولة أو المجتمع دون قناعة وسعى ونضال النخبة السياسية[1]، وتؤثر العولمة على سيادة الدولة فيما يتعلق بتوفير الرفاهية، وقد أوضح تقرير تم إعداده لمجلس إدارة منظمة العمل الدولية، تأثير العولمة على الآليات والسياسات الداخلية للبلدان وعلى قدرة حكومتها على حماية سكانها بمختلف قطاعاتهم، وأكد أن القوى العاملة تواجه من جراء العولمة هجوماً ضارياً متزايداً من المنافسة ومعدلاً سريعاً من التغيرات التكنولوجية بموارد حكومية متناقصة فى أغلب الأحيان[2].

ومع تصاعد تيار العولمة بدأت تظهر إلى الوجود فكرة القرية الكونية ، تلك القرية التى تماثل القرى فى كل شئ ، ففى القرية تنسحب

---

(1) محمـــد رؤوف حـــامد : الوطنـــية فى مواجهة العولمة ، سلسلة أقرأ ، (647) دار المعارف ، القاهرة ، 1999، ص 198 ، 199 .

(2) إبراهيم نافع : إنفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة ، ط 17 ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، 2002 ، ص137 .

سلطة الدولة ، وتظهر سلطة الأفراد ، وتظهر بشدة وحدة القرية فى توجهها العام ، وبراعة تفوق أفرادها الفردى فى توجههم الخاص ، ومن ثَمَّ فإن عمومية العام لا تصطدم باحترام التوجه الخاص ، بل لا يوجد بينهما تنافر ، فالامتزاج بينهما هو الذى يعطى للقرية الكونية شخصيتها ، ويعطى للعولمة طبيعتها ، ويعطى لهما مذاقاً وورونقاً خاصاً .

ومن ثم فإن العولمة نجحت فى توظيف دور الدولة فيما يخدمها ويتجاوب مع منطقها الجديد ، ونجحت كذلك فى جعل نمطها المؤسساتى العالمى هو النمط السائد والمسيطر فى كل أنحاء العالم . إن حدوث ذلك يتم – من وجهة نظرى – عن تغير مهم فى وظيفة الدولة ، مهما كانت قوة هذه الدولة ، والعولمة على هذا هى سلاح ذو حدين ، فمهما كان الحد النافع لهذه العولمة ، فإن الحد الضار لها لابد وأن يبث سمومه فى أى وقت وبأى وسيلة كانت .

ويرى البعض أن العولمة تتحدى الدولة القومية لتفتح حدودها لنوع جديد من التنافس الحر ، حيث تنطوى العولمة على تفتيت الحدود الوطنية ومن ثم إضعاف السلطة الوطنية وقدرتها على تطبيق القوانين الوطنية داخل تلك الحدود ، وعلى التحكم فى تدفقات وانسياب رؤوس الأموال. وكذلك تسعى العولمة إلى تحويل السلطة المنظمة من المستوى الوطنى إلى مؤسسة دولية ، وأبرز مثال على ذلك هو منظمة التجارة

الدولية العالمية[1]. وبدلاً من أن تكون الدولة القومية فى القرن العشرين وعاء للحداثة أو مفاعلاً للتقدم ، تحولت إلى قيد على التحولات الإجتماعية الهادفة حيث تعمل كبنية إحتواء ضد التغيير أو كمثبط للمبادرات التقدمية.

ولعل تضاعف عدد القوميات الحقيقية من عشرات فى عام 1914 إلى ما يقرب من مائتين حالياً ينبغى قراءته باعتباره إحكاماً لنموذج فوق واقعى من محلية العولمة فضلاً عن كونه تصحيحاً للقهر التاريخى الذى مارسته شعوب تحيل تحررها إلى حكومات قومية واقعية . وكما يقول بودريار : " تتميز المحاكاة بضبط النموذج أو كل النماذج فى ضوء الحقيقة الأساسية ألا وهى أن النماذج تأتى أولاً والدوران الفلكى (كالقنبلة) يشكل المجال المغناطيسى الأصلى للأحداث "[2].

وهذا يفسر لنا، من وجهة نظرى، السعى الدءوب من قِبل الدول القومية مثل الدول القومية الخارجة من تحت سيطرة الإتحاد اليوغسلافى أو الإتحاد السوفيتى لإمتلاك الأسلحة النووية ، حيث يعتقد أن الأسلحة النووية التى تحول الدول إلى قوى عظمى لها دور خطير فى ملعب العالم السياسى .

---

(1) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 32 ، 33 .

(2) Bdudrillard, j., Selected Writing, ed. Mark Poster, Stanford University, Press, 1988, p. 175 .

إن الهيمنة الأمريكية والأوربية على الأمم المتحدة ومنظماتها وهيئاتها ومؤتمراتها تجلت فى حرب العراق الأولى والثانية والحرب فى يوغسلافيا ومحاصرة ليبيا والسودان والعراق وإيران ، والسكوت على حرب الإبادة التى تمارسها روسيا فى الشيشان ، والسكوت عن الإجرام اليهودى الذى تمارسه إسرائيل ضد الفلسطينين واللبنانين والسوريين ، هذا فى الوقت الذى سارعت فيه الأمم المتحدة بالعمل علىفصل أحد أقاليم اندونسيا ، والكيل بمكيالين فى أمور عديدة لا يقرها عقل أو منطق وخاصة الأمور التى تتعلق بدول العالم الإسلامى[1]. لقد أصبحت الأمم المتحدة ومنظماتها وهيئاتها ومؤتمراتها من العوامل الهامة فى تكريس العولمة ونشر مفاهيمها الثقافية والحضارية العلمانية والعمل على سيادة هذه المفاهيم وسيطرتها فى جميع أنحاء العالم على الثقافات والحضارات الأخرى.

ومن الواضح أن التطورات والإفرازات المجتمعية على المستويات المختلفة المحلية والوطنية والدولية تقود اليوم نحو بلورة نخبة عالمية سيكون بإمكانها "التحكم عن بعد" فى مجرى الأمور فى الدول الأقل قدرة على الصمود ومواجهة التحديات وسوف تتمكن من احتكار السلطة والثورة والنفوذ فى العالم وهذا سيجعلها أكثر كفاءة فى التأثيرفى السياسات الحكومية ومواقف الأحزاب السياسية واستراتيجيات

---

[1]محمد الجوهرى حمد الجوهرى : العولمة والثقافة الإسلامية ، ص 45 .

المؤسسات الدولية واتجاهات التحولات المجتمعية فى معظم أنحاء القرية الكونية[1].

لقد أصبحت السياسة فى عصر العولمة، متعددة المراكز، وأصبحت الدولة مجرد مستوى واحد فى نظام معقد من الوكالات المتشابكة، وغالباً المتنافسة من الحكومات[2]. وذلك إنما يرجع إلى أن استقلال الدولة القومية فى العقود الأخيرة خضع للضغوط المتزايدة التى فرضتها على التوسعات الهائلة للمؤسسات العالمية، هذا بالإضافة إلى التأثير المتزايد للقانون الدولى، فقد زادت تأثيرات المؤسسات مثل الأمم المتحدة، وحلف الناتو، والبنك الدولى، والاتحاد الأوروبي، تلك التأثيرات التى حدت من عملية صنع القرار فى الدولة القومية.

وعن طريق إضعاف الدولة تتيح العولمة أساليب خفية للتعامل المباشر مع المنظمات الوطنية غير الحكومية كالجمعيات الأهلية دون علم الحكومة ، وغالباً ما تتحول هذه المنظمات غيرالحكومية إلى معبر للمنظمات العالمية غير الحكومية التى تتلقى مساعدات من وكالة التنمية الأمريكية والدول والهيئات . وفى ظل العولمة تعانى الدول ضغوطاً لتقديم تنازلات فى حق السيادة من خلال استخدام سلاح المعونة

---

(1) أحمد حجازى : الثقافة العربية فى زمن العولمة ، ص 28 .

(2) Paul Hirst & Graham Thompson , Globalization and the future of the nation stste, London on 1995.

الإقتصادية ، أو التهديد بإثارة متاعب داخلية كالتلويح بورقة إضطهاد الآقليـــات الدينية والعرقيـــة أو انتهاك حقوق الإنسان.

ومن ثم فإن الدول النامية فى زمن العولمة – من وجهة نظرى – ليس لديها إلا طريقتان ، لا ثالث لهما ، تتبعه فى سياستها الداخلية ، وهما : إما أن تنصاع انصياعاً جبرياً لا خيار فيه لسياسات العولمة ، وذلك من خلال اتباع الخسارة للطرف المغلوب على أمره أمام ظروف تقتضى التغيير الجذرى لسياسة الدولة القاصرة على التصدى للعولمة ، وإما من خلال فكر وطنى قومى يرتكز على حسّ وطنى قوى ، وفى نفس الوقت يكون قادر على استيعاب الفكر العالمي الجديد ، وخير مثال على ذلك ما فعلته اليابان تلك الدولة التى بدأت معنا نهضتها مع الفارق الملموس للجميع.

ولم يكن الأمر ، ليصيب دول الشرق النامى ، دون دول الغرب المتقدمة حيث أن ممارسة الديموقراطية فى البلدان الغربية أصبحت مجرد طقوس ، فما من بديل ، على سبيل المثال ، سياسى يطرح على الناخبين ، ولم يعد لنتائج الاقتراع – كما هو الشأن فى دولة الحزب الواحد – أثر حقيقى على المسار الفعلى لسياسة الدولة الاقتصادية والاجتماعية. وبدورها أصبحت الدولة – فى ظل جدول الأعمال السياسى النيوليبرالى– متزايدة القمع لحقوق المواطنين الديمقراطية[1]. ولقد ثبت صدق هذا التحليل بدقة كبيرة فى مسار إعادة توحيد ألمانيا.

---

(1) عاطف السيد : العولمة فى الميزان الفكر ، ص 34 .

فعندما غيرت الحركة الديمقراطية الألمانية الشرقية شعارها من "نحن الشعب" إلى "نحن شعب"، لم تتكون هذه الهوية القومية إلا باستبعاد "الغرباء"- بل ومحوهم إذا لزم الأمر- ممن كان معظمهم يتمتعون بمكانة الضيوف مدعوين من دول اشتراكية صديقة فى عهد الانفصال الدستورى الألمانى[1].

وعلى أية حال ، فإذا ما رجعنا إلى القوة المهيمنة الرئيسية (أمريكا)، سنجد أنها لازالت تميل إلى الأسلوب الفردى فى اتخاذ القرارات وتطبيق السياسات تجاه الموضوعات الدولية المختلفة ، يضاف إلى ذلك الأسلوب الأمريكى فى تطبيق تشريعاتها الوطنية خارج الحدود Extra-Territoriality لصيانة مصالحها[2] . وهذا ما أثبته الواقع العملى ، حيث أن السياسة الأمريكية تعتمد على الإنتهازية التى تعبر عنها المعايير المزدوجة التى تطبقها متى شاءت مضحية بالديمقراطية وحقوق الإنسان إذا ما تعارضت مع مصالحها. أى أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تبدى إهتمامها بقضية الديمقراطية كرسالة أخلاقية عالمية، بل تتخذها وسيلة لتخفى غاية ألا وهى خدمة إستراتيجيتها ومصالحها العالمية[3].

---

(1) Schmitt, Carl; The Crisis of Parliamentary Democracy, Translated by Ellen tennedy, Combridge, MA and London, 1988, p. 11.

(2) أسامة المجدوب : العولمة والإقليمية ، مستقبل العالم العربى فى التجارة الدولية ، الدار المصرية اللبنانية ، 2000، ص 28 .

(3) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 59 .

وعلى هذا ، وفقاً لتقديرى، فإن قوة ونفوذ الولايات المتحدة الأمريكية السياسية والعسكرية ، والتى لا تعادلهما قوة أخرى وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ، قد أهلها لتفوق لامثيل له فى الهيمنة والتأثير القهرى على جميع دول العالم. وأكثر العوامل التى تساعد أمريكا على استمرار الهيمنة على العالم ، هى المساعدات الإقتصادية والعسكرية والمساندة الاستراتيجية التى تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية لدول العالم وخاصة دول العالم الثالث .

إن القوة الأمريكية – ليست القوة المادية فقط بل والقوة المعنوية أيضاً لأن القوة المادية صنعت قوة معنوية تخشاها الشعوب والحكومات والدول الآن – تعتبر من أهم وسائل العولمة لأنها جعلت من الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً أعلى تلهث الدول للحاق به فى مضمار التقدم التقنى والعلمى والحضارى [1].

وإذا كان الصراع فى القرن التاسع عشر، قد شهد حروباً عالمية بل ومحلية فى أعقاب كل جولة من جولات العولمة، بل وموجات من النزاع والصراع العالمى ، فإنه فى القرن العشرين – من وجهة نظرى – قد تغير شكل هذا الصراع ، حيث أصبح عبارة عن حملات من التطهير العرقى وسحق ملايين من أرواح البشر الأبرياء بدعوى تطهير العالم من التطرف والإرهاب، وكذلك الحال فى إصطناع الدول

---

(1) محمد الجوهرى حمد الجوهرى : العولمة والثقافة الإسلامية ، ص 46 .

المسيطرة لأسباب تؤدى إلى هذه النزاعات والحروب الأهلية الموجودة فى كل مكان حولنا ، مثل الذى صنعته أمريكا فى أفغانستان والعراق .. وغيرها من دول العالم وخاصة العربية والإسلامية.

وهذا يجعلنا نقتنع بأن إقامة ديمقراطية جديدة ، سواء فى روسيا أم فى الصومـــال ، أم فى الأرض قاطبة ، لا تحتاج لأكثر من تصدير الدساتير سابقة التجهيز والأنظمة البرلمانية المصنوعة حسب الطلب ، يقول جوشوا مورافتشيك Joshua Muravchik : إبعثوا بالأوراق الفيدرالية إلى روسيا البيضاء ، إرسلوا نظام التعددية الحزبية إلى نيجيريا بالطرود البريدية ، أرسلوا قانون الحقوق بالبريد الإلكترونى إلى الصين، إشحنوا إلى الأمم المتحدة قوة حفظ سلام يشرف عليها المدنيّون، وكل من فيها من المتطوعين ، وتتسم بالطاعة ولكن ضميرها يقـــظ ، من بلد يتمتع بقدر كبير من تقبل الخسائر وليس له أية مصلحة خاصة به ... وعلى شعاع من الليزر أرسلوا الديمقراطية وفيما يتعلق بالحكم الكونى ، إفعلوا الشئ نفسه على المستوى الكونى "[1] .

يؤكد البعض أن اليابان أدركت أنه ليس هناك طريق أمامها سوى المحاكاة المنهجية للغرب ، وأثبتت أنها أفضل التلاميذ [عندما أخذت بالتصنيع وبتشكيل برلمان وفتح إمبراطورية] . لكن شراهتها

(1) Muravchik, J., Exporting Democracy: Fulfilling American's Destiny, Washington, D. c.: American Enterprise Institute Press, 1994, p. 175.

قادتها للمواجهة فى 1941 مع العملاق الأمريكى الذى عارض إنشاء فضاءات مستقلة وحطمها – ومن ثم استبعدها – وفى 1945 سحقت اليابان التى أصبحت فى النهاية جد فقيرة ومعرضة للمعاناة ، وأعاد فاتحها ومستعمرها بناءها وفق النموذج الغربى[1].

ومن ثم فإن الدولة بكل مؤسساتها السياسية ، من وجهة نظرى ، لا تخدم فى نهاية المطاف إلا منطق الكبار، مادام أن هؤلاء هم الذين يحددون فلسفتها السياسية وتوجهاتها المستقبلية .

فيعانى الكثير من الدول النامية سوء الأوضاع الداخلية التى لا يؤهلها لمواجهة تحديات عصر العولمة، مما يتطلب الإسراع بإصلاح أجهزة الدولة وتطهير ما يكتنفها من فساد وفقاً لمشروع قومى للإصلاح يتميز برؤى مستقبلية واعية تنهض بأجهزة الدولة ومؤسساتها وتجعلها أكثر قدرة على مواكبة المتغيرات الجديدة فى إطار العولمة. فبعض الدول النامية مهددة بخطر انتقاص السيادة بنقل هذه الدول إلى كيانات دولية ولإقليمية أكبر منها، بالإضافة إلى خطر صراع الهُويات والحروب الأهلية التى تهدد بالنيل من السيادة وتفتيتها، وتمزيق الوحدة الوطنية فى تلك الدول[2]. ورغم ظهور حركة عدم الانحياز التى ضمت الدول النامية ، فلقد أدى تفويض هذا النظام إلى إتاحة الفرصة لظهور

---

(1) إبراهيم نافع : انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة ، ص 81 .

(2) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 140 .

قوى جديدة ولاعبين جدد على الساحة الدولية ، لم تسنح لهم الفرصة من قبل فى الظهور والتأثير بهذا القدر من الفاعلية ، وسعت هذه القوى بالتالى إلى تبوء مكانة دولية مرموقة ، سواء كدول منفردة أو كمجموعات تنسق مواقفها فيما بينها لتكتسب القدرة على حماية مصالحها[1].

ورغم أن العولمة والقائمين عليها سواء فى الغرب الأوروبى أو فى الولايات المتحدة الأمريكية ، تبتكر الوسائل التى تساعدهم على الهيمنة والسيطرة السياسية ، فإن العولمة تمثل بالنسبة إلى كثير من الدول ذات الأنظمة الديكتاتورية مخاطر شديدة وتمثل للكثيرين من القادة فى دول العالم الثالث غياب الإمتيازات غير المشروعة أو الإستثنائية التى يحصلون عليها ، هم وذويهم .

إن العولمة فى جانبها السياسي تعمل على "تقليص احترام السيادة والحكم الذاتي للأفراد، وحقوق الإنسان، وتحد من مبدأ سيادة الدولة نفسها[2] فلم تعد السلطة الفردية للدولة القومية هى هدف العلاقات الدولية، بل أصبح الاهتمام بالمؤسسات العالمية هو الهدف، وذلك يؤثر على قدرة الحكومات على ضمان مصير ومستقبل مواطنيها. فالعولمة تقلص من دور الديمقراطية فى الدولة القومية.

---

(1) أسامة المجدوب : العولمة والإقليمية ، ص 27 .

(2) David Held, Democracy and the Global order from the Modern stste to como politan Govemency Washington 1995, P.103.

ولقد لمسنا أن الهدف الأساسى من الهيمنة الغربية الأوروبية أو من الولايات المتحدة هو حماية مصالحهم الإقتصادية فى الخارج ، فما فعلته أمريكا فى أفغانستان ما هو إلا محاولة سيطرتها على بترول بحر قزوين، وكذلك الحال بالنسبة لتصريح بوش الأب، فى بدء حرب عاصفة الصحراء على العراق فى التسعينات من القرن العشرين بأن هذا هو بداية نظام عالمى جديد، ما هو إلا تحقيق مصالح أمريكية فى بحر الخليج .

وعند هذا الحد نجد أنفسنا نتطرق إلى مفهوم العولمة الإقتصادية، وهو ما سنحاول إيضاحه في الصفحات القادمة.

ثالثـــــاً: العولمـــة الاقتصـــاديـــة :

يعتقد معظم الاقتصاديين أن العولمة فى جانبها الاقتصادي هى تنظيم حتمى للقواعد الخاصة بالتنافس العالمى، وقوانين عالم التجارة التى من المفترض أن تضمن أقصى درجة لتوزيع الموارد حول العالم. وهذه العملية تسير جنباً إلى جنب مع انسحاب الدول المنظمة من مجالات محددة مثل التخطيط، والإنتاج، والإصطلاح الإجتماعى، وإعادة تكييف اشتراكها فى مجالات أخرى، مثل إعادة التوزيع، والتنظيم، والوساطة، .. وغير ذلك. فالهدف هو تشجيع استراتيجيات النمو الإقتصادي الخاصة، والتى تعتمد على تعزيز المصالح الخاصة، وكل ذلك يساعد على تقويض شرعية الدول.

فى عصر العولمة تتحدث الدول جميعها ، لغة الاقتصاد ، الذى أصبح جزءاً لا يتجزأ من الأمن القومى للدولة الحديثة ، ومع بداية القرن الحادى والعشرين أصبح التطور الدولى يتشكل بتفاعل عاملين أساسيين هما : الإتجاه نحو العولمة والإندماج فى النظام الإقتصادي الدولى من ناحية ، وحرص الدولة على تقليص آثار العولمة الإقتصادية على رفاهية شعوبها من ناحية أخرى[1].

---

(1) سمير محمد عبد العزيز : التكتلات الإقتصادية الإقليمية فى إطار العولمة ، الكوميسا – مجموعة 15– أوروبا الموحدة المشاركة الأوروبية الإفريقية المتوسطة ، مكتبة ومطابع الشعاع الفنية ، الإسكندرية ، 2001 ، ص 13 .

ولعل من أهم التطورات الإقتصادية التى يشهدها القرن الواحد والعشرون هى النزعة نحو المشروعات والإستثمارات والشركات والمنظمات العالمية ، فالشركات العالمية تساهم فى عولمة الطلب بتجميع الطلب محلياً وتشكيلـــه على المستـــوى العالمـــى ، وتوجيه نفـــس المنتجات علىالمستوى العالمـــى ، وغير ذلك - كما أن الشركات العالمية تساهم فى عولمة العرض بدعم النظام الجديد لتقسيم العمل دولياً ، ودعم التبادل العريض للتكنولوجيا ، ودعم التخصص فى نظام المكونات ، ودعم السرعة الفائقة فى انتقال عوامل الإنتاج[1].

أما من حيث مساهمة الشركات العالمية في عولمة الإستراتيجية، فلعل أهم مساهمتها فى ذلك دعم الشركات التابعة لبعضها فى تغطية الأسواق العالمية وفى طرح المنتجات الجديدة ، ودعم التحول من وفورات الحجم " Scale " إلى وفورات النطاق " Scope " ودعم تحول الأنشطة تبعاً للتكاليف والإمكانـــات من موقـــع إلى موقع عالمى آخر إلى غير ذلك[2].

---

(1) أحمـــد عرفه ، سمية شلبى ، العولمة والنظرية ض فى العربية ، نظرية دحر الفراغ، الرسالة للطباعة طنطا ، بدون تاريخ ، ص 6 ، 7 .

(2) عـــبد العزيـــز الشربينى : الوجه الجديد للشركات العالمية ، أخبار الإدارة ، المنظمة العربية للتنمية الإداريـــة ، العدد التاسع عشر ، يونيو 1997 ، ص 1 ، 2 .

فالإسراع الهائل – حسب تقديرى – بعمليات العولمة والدمج العالمى يتجلى فى مجال الإقتصاد؛ وكانت ا لأطراف القوية الكبرى فى تدويل الاقتصاد منذ السبعينات هى المصارف والشركات العالمية والدولية، وواكب تدويل الإنتاج والإستهلاك والتجارة العالمية التى لا تتوقف ليل نهار،والتطورات الثورية فى النقل والاتصالات والتكنولوجيا والنمو المكثف فى هجرة العمالة الدولية .

ويولى الإقتصاد العالمى إهتماماً موازياً لدفع النزعة الفردية. وسياستها الأولية هى سياسة دمج الهوية التى تقوم بدورها بتجنيد الشباب الناشطون الواقعيون بل والعابثون أيضاً لدمج الرأسمالية وثقافتها العالمية[1] . ولم يكن نظام التجارة العالمى قط " اقتصاديا "[2]: أى نظاماً متميزاً تحكمه قوانينه الخاصة. وبهذا المعنى فلقد كان مصطلح" الإقتصاد العالمي" دائماً تعبيراً مختزلاً عن ما هو فى الواقع نتاج للتفاعل المركب بين العلاقات الاقتصادية والسياسية ، تشكله وتعيد تشكيله صراعات القوى العظمى. والإقتصاد العالمي شديد الإنفتاح، فهو يظهر حيثما تدعم قوة مهيمنة نظام التجارة، أى قوة لأسباب خاصة بمصالحها التى تدركها كانت مستعدة لقبول تكاليف تقديم العون للنظام ، فإذا كان دعاة العولمة على صواب فإن كل ذلك سينتهى.

---

(1) بول هيرست وجرهام تومبسون : مُساءلة العولمة ، الإقتصاد الدولى وإمكانات التحكم، ترجمة إبراهيم فتحى ، المشروع القومى للترجمة (100) ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1999 ، ص 23 .

(2) ميشيل تشوسودوفيسكى : عولمة الفقر، ترجمة محمد مستجير مصطفى ، كتاب سطور العاشر 2000 ، ص 31 .

وهذا الشكل الجديد من أشكال السيطرة الإقتصادية – شكل "الإستعمار السوقى " – يُخضع الشعوب والحكومات من خلال الفعل الحيادى فى الظاهر لقوى السوق . فقد عهد الدائنون الدوليون والشركات متعددة الجنسية للبيروقراطية الدولية القائمة فى واشنطون بتنفيذ مخطط اقتصادى عالمى يؤثر على معيشة (أكثر من 80 %) من سكان العالم . ولم يسبق فى أى وقت فى التاريخ أن لعبت السوق " الحرة " – التى تعمل من خلال أدوات الاقتصاد الكلى – مثل هذا الدور الهام فى تشكيل مصير دول " ذات سيادة "[1]. وستؤدى العولمة إلى تحسين آلية دخول الأسواق وانفتاحها بسبب تخفيض الرسوم الجمركية وإلغاء القيود غير جمركية وبالتالى نمو السوق العالمية واتساع نطاقها وإزالة الحدود والحواجز بكافة أشكالها أمام انتقال السلع والخدمات والمعلومات ورؤوس الأموال . وهذه الحواجز كانت تعطى للشركات والمنشأت فى كل دولة حرية الإختيار بين البقاء محلياً فى ظل حماية تضمن البقاء والإستمرار أو قبول التحدى ومواجهة المنافسة فى السوق العالمى من خلال التصدير[2].

لكن سقوط الحواجز بين الدول وتحرر الأسواق بفعل إتجاه العولمة سيؤدى إلى أن تصبح مواجهة المنافسة العالمية أمراً حتمياً .

---

(1) O'Neill, John, " Five Bodies: The Human Shape of Modern Society, Ithaca: Cornell University, Press, 1985, P, 131.

(2) محسن فتحى عبد الصبور : أسرار الترويج فى عصر العولمة ، مجموعة الدين العربية 2001، ص 147.

فالمنتجات الأجنبية سوف تدخل السوق لتسويق نفسها، وسوف تُتبع أساليب ترويج متطورة وسوف تُنفق أموالاً طائلة على ميزانية الترويج وذلك وفق خطط واستراتيجيات علمية وضعت بعد دراسات مستفيضة للسوق وللمستهلكين المحليين.

ويتضح مما سبق أن العولمة ليست موجة تلقائية وإنما هى – من وجهة نظرى – نظام محكم مخطط له بإحكام تشديد ودقة متناهية من قِبل القوى العظمى فى العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وبريطانيا وغيرها من دول أوروبا المتقدمة ، وأيضاً في دول آسيا مثل اليابان وغيرها، تلك الدول التى بلغت في التقدم الصناعى تقدماً ملحوظاً ، فراح كل منها يبحث عـن سوق ومستهلك، لا منتج ليروّج بضاعته فى النطاق الضعيف المستهلك. ومن هنا ظهرت المنافسة والسيطرة بل والهيمنة الكاملة على مثل هذه الأسواق لصالح الدول الإقتصادية والصناعية الكبرى.

إلا أن هناك عدداً من الدول يُطلق عليها الدول النامية المتقدمة ، وتضم عدداً من دول أمريكا اللاتينية وبعض الدول الآسيوية التى حققت تقدماً إقتصادياً ملموساً، وإن لم يرق إلى الطفرات التى انجزتها مجموعة النمور الآسيوية، مضافاً إليها من أفريقيا كل من: مصر ونيجيريا وجنوب أفريقيا، حيث طبقت هذه الدول برامج طموحة للإصلاح الإقتصادى والتحول الهيكلى إلى إقتصاديات السوق ، طورت

بموجبها سياسات الإقتصاد الكلى ، وحررت بدرجات متفاوتهٌ كل من التجارة والإستثمار ، مع الإحتفاظ بأسس سليمة للإقتصاد Sound Economic Fundamentals[1].

ومن المظاهر الإقتصادية للعولمة زيادة الإعتماد المتبادل بين الدول والإقتصاديات القومية من خلال عولمة عمليات الإنتاج والتسويق لكثير من الصناعات الحديثة ، ونمو حجم التجارة الدولية وتنوعها ، وإنتقال رؤوس الأموال عبر الحدود ، وزيادة عدد ونشاط الشركات متعدية الجنسيات . ويمكن ملاحظة هذه المظاهر فى عمل التكتلات الإقتصادية العالمية والمؤسسات التى تدير العولمة . ومن أبرز خصائص عولمة الإقتصاد ظاهرة اندماج الشركات والمصارف ، وقد يأخذ الإندماج صورة تملك الشركات والمصارف الأضعف نسبياً ، وهى التعبير العملى لتركز رأس المال والإنتاج فى ظل الرأسمالية المعاصرة.

ومن ثم فإن انتشار قوى السوق وسيادة آلياته لا تعرقلها أية قيود فى سعيها لزيادة انتشارها ، فهى حين تدخل منطقة أو حين تفتح لنفسها أسواقاً جديدة تنتشر بسرعة فائقة ، ومن ثم فالتجارة الدولية لا تعترف ولا تقف عند حدود ما، ولا تعترف أيضاً بحق أى دولة فيما كان متعارفاً عليه أنه حماية أو دعم أو حتى إجراءات وقائية.

---

(1) أسامة المجدوب : العولمة والإقليمية : ص 32 .

إن السوق العالمية قد أصبحت أكثر أهمية وقوة عن الدول والمجتمعات القومية فى تحديد الشئون الإقتصادية بل وحتى الشئون السياسية القومية ، وإن السيادة القومية كانت تعنى سابقاً سيطرة الحكومات غير المحدودة على اقتصاداتها فى حين يتم حالياً تقرير الشئون الإقتصادية، عن طريق قوى السوق متعددة القوميات والشركات متعددة الجنسيات. وإن إزدياد التكامل الإقتصادى للمجتمعات القومية يضعف الإستقلال الإقتصادى، لأن[1]:

- احترام المنافسة التجارية والحاجة إلى تخفيض التكاليف يتطلب تقليصاً كبيراً فى حجم الرفاهة .
- القوة فى المجتمع تتحول من الدولة إلى المنشأة .
- اختيارات السياسة أصبحت محدودة أمام الحكومات لرغبتها فى جذب رأس المال الأجنبى وخشيتها من هروب رأس المال (بل أن البعض يقولون إن التمويل الدولى هو الذى يحكم العالم الآن) .
- تكامل الأسواق المالية أنقص من فاعلية سياسة الإقتصاد الكلى (المالية والنقدية) في إدارة الاقتصاد .

ومن ثم، يتطلب الأمر أن تدرس ثقافة وقيم واتجاهات ودوافع ورغبات، بل وسلوكيات تقسيمات متعددة لعملاء على نطاق عالمى؛ ليس هذا فقط، بل يتطلب الأمر أن تدرس وتحلل سلوكيات منافسين سواء كما تعكسها قراراتهم التى تصاغ فى مقر شركاتهم. أو فى

---

(1) إبراهيم نافع : انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة ، ص 130 .

الأسواق العالمية التى يتنافسون فيها، حيث أنه بصورة أو بأخرى يظهر تأثير عولمة أسواق المال، فتحسين الأوضاع فى الأسواق العالمية على سبيل المثال، له أثره الإيجابى فى كل بورصات العالم ، وكذلك الحال إذا ما تدنى الأداء العام للبورصة الدولية فيظهر التأثير السيء هذا بتأثيره على السوق العام العالمى .

ولهذا السبب عمدت البنوك والمؤسسات إلى تفعيل دور إدارات البحوث والتطوير والإبتكار للوصول إلى أنظمة حماية ارتقائية ، قائمة على التحوط والإحتياط الوقائى، وعلى توفير البدائل والخيارات، وعلى استخدام الأدوات التمويلية ذات الطابع الجماعى من أجل امتصاص الصدمات، واستيعاب حالات المد والجذر الناجمة عن حركة التدفقات النقدية والتمويلية عبر الحدود الدولية، وما بين مراكز وأسواق التمويل الدولية بعضها البعض[1]. ولقد أصبح الإقتصاد الحر هو المسيطر على النشاط الإقتصادى فى العالم الذى أطلق عليه كثير من المفكرين الأمريكيين اسم (ماك وورلد) Mac World، نسبة إلى محلات (ماكدونالد) الشهيرة التى تنتشر فى كافة الدول وفى كل مكان بصرف النظر عن الإختلافات السياسية والمفارقات الإجتماعية. ومن الواضح أن هذه التسمية تحمل فى طياتها نقداً طريفاً؛ وهو أن الإقتصاد الحر أو

---

(1) محسن أحمد الخضيرى : العولمة الإجتياحية ، ص 302 .

الرأسمالية التى لا تتقيد بارتباطات اجتماعية، لا تطيق فكرة القيود والحواجز، حيث تكرهها الرأسمالية كراهية واضحة[1].

ولقد مر النظام الرأسمالى بمراحل وتطورات نحو هدفين ظلا كثوابت استراتيجيـــة ، وإن تغيرت آليات تدعيم النظام وتجديده حسب المتغيرات الداخلية والخارجية ؛ وهما[2]:

1)- لقد تركز الهدف الأول على التجديد والتطوير والإبداع فى داخل النظام الرأسمالى ذاته بهدف تحقيق نمط نموذجى بالقوة الإقتصادية والعسكرية والحضارية والسياسية يتميز بها عن أى نظم أخرى يمكن أن تنافسه .

2)- ويتمثل الهدف الثانى فى دعم الهيمنة الخارجية من أجل تحقيق الهدف الأول أيضاً ، ومن هنا ارتبط تراكم التقدم فى النظام الرأسمالى (المركز) بتراكم التخلف فى الدول الأخرى التقليدية (التوابع أو المحيطات) بلغة أصحاب مدرسة التبعية .

إلا أنه من نقائض العولمـــة، أن للنجاح فى الإقتصاد الدولى مصادره القوميـــة، فإذا كانت مصادر نجاح تايوان لا تثير الدهشة فإنها تدعو إلى التروى فى بلاد مثل المملكة المتحدة تمارس سياسات " دعه

---

(1) حسين كامل بهاء الدين : التعليم والمستقبل ، ص 48 ، 49 .

(2) عــبد الباســط عــبد المعطـــى : التبعـــية الثقافية فى الوطن العربى ، " فى الآليات والمجـــالات والتفسير " فى ندوة الثقافة العربية ، الواقع وآفاق المستقبل ، الدوحة ، 12 – 15 ابريل1993 م ، ص 211

يعمل " الليبرالية إلى حد الإفراط، وترفض حكومتها كلا من الاستثمار العام والتضامن الإجتماعى. فإذا كانت تايوان نستطيع النمو بواسطة تعبئة موارد الاستثمار فإن المملكة المتحدة تستطيع الإنحدار بانصرافها عن ذلك.

إن الواقع يفترض ويفرض تيار العولمة بقوة ، ويعيد هيكلة الكون ، ويجعل الجميع يتجه إلى ضرورة إعادة النظر فى توجهاته : الإنتاجية ، والتسويقيـــة ، والتمويلية ، وكوادره البشرية ... لتصبح قادرة على الفعل فى تيـــار العولمـــة الذى يقود العالم الآن ، ويحوله إلىمنظومة كونية متفاعلة ، تجتاحها وتتفاعل معها ملايين المتغيرات والمستجدات الكثيفة ، القائمة على الإستهلاك الواسع المدى ، وطبقاً لاتفاقية الجات سيتحول العالم إلى سوق كبيرة مفتوحة تغذى احتكارات الدول المتقدمة للحصول على أكبر عائد على حساب الدول النامية ، فإتفاقية الجات تفتح أسواق الدول النامية أمام صادرات الدول الغنية بما يسمح لها بالقضاء على القاعدة الصناعية لهذه الدول من خلال المنافسة غير العادلة.

ومن ثم فإن سياسات السوق فى زمن العولمة ، لا يسمح لسياسات السوق فى الدول النامية – من وجهة نظرى – إلا بالدخول بنطاق محدود فى عملية التنافس الإقتصادى الدولى ، بل إنها تفرض هذه الدول النامية تبعية طويلة المدى ، وفى المقابل تجد أن القائمين على نظام وضع سياسات سوق العولمة ، يحاولون جاهدين، للحد من أى محاولة وطنية، قومية فى إطار الدول النامية لتطوير أو تنمية أية

مقومات وطنية أو إيداع مقومات للإقتصاد والسوق المحلى فى هذه الدول (النامية) .

ويمكن ملاحظة عملية موازية فى أوروبا الغربية ، فمع معاهدة ماستريشت أخذت عملية إعادة الهيكلة السياسية فى الإتحاد الأوروبى تراعى بصورة متزايدة المصالح المالية السائدة على حساب وحدة المجتمعات الأوروبية . وفى هذا النظام كرست سلطة الدولة عمداً تقدم الإحتكارات الخاصة : فرأس المال الكبير يدمر رأس المال الصغير فى كل أشكاله ، ومع الاندفاع نحو تكوين كتل اقتصادية فى كل من أوروبا وأمريكا الشمالية إستؤصل المنظم الإقليمى المحلى ، وحولت حياة المدن، وأكتُسحت الملكية الفردية الصغيرة . وتوفر " التجارة الحرة " والتكامل الإقتصادي قدرة أكبر للمنشأة العالمية فى ذات الوقت الذى تكبح فيه (عن طريق الحواجز غير الجمركية والمؤسسية) حركة رأس المال المحلى الصغير. وإذا كان " التكامل الإقتصادي " (تحت سيطرة المنشأة العالمية) يعطى مظهر الوحدة السياسية فإنه كثيراً ما يشجع التكتلية والشقاق الإجتماعى فيما بين المجتمعات الوطنية وداخلها[1].

ولقد أسقط الإتحاد الأوروبى (تكون عام 1959 ويتكون من 12 دولة أوروبية) معظم قيود التجارة بين دوله، مما فتح آفاقـــاً واسعة لتقـــدم اقتصادى كبير خـــلال العقدين القادمين . وبدأت شركات متعددة الجنسية تنشئ فروعاً لمصانعها ومكاتبها هناك لتَتَعَامل معاملة الشركات

(1) ميشيل تشوسودوفيسكى، عولمة الفقر، ص 313-314.

الأوروبية ضمن هذا الإتحاد من حيث القدرة على أن تتعامل تجارياً وبحرياً مع أسواق دول الإتحاد وتتجنب ما يفرض من قيود كمية أو جمركية على صادراتها لهذه الأسواق(1). وحتى تعامل الشركة معاملة الشركة الأوروبية ، يجب أن تصنع الأجزاء الرئيسية لمنتجها فى نطاق دول الإتحاد الأوروبى . فعلى سبيل المثال إشترت شركة " ويرلبول Whirlpool " الأمريكية شركة فيليبس الأوروبية للأجهزة المنزلية الكهربائية حتى تتأهل كشركة ضمن الإتحاد.

وقد حقق الإستثمار الأجنبى المباشر نمواً فى النصف الثانى من الثمانينات يماثل أربعة أضعاف معدل نمو الناتج العالمي ، وثلاثة أضعاف معدل نمو التجارة الدولية ، بينما سيطرت المؤسسات متعددة الجنسيات ، ذات الموطن الأم فى مثلث الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبى واليابان على 80 % من هذه الإستثمارات وبنهاية العقد بلغ حجم الإستثمارات المملوكة لهذه المؤسسات حوالى 2 تريلليون دولار وهو ما يماثل قرابة خمسة أضعاف قيمتها فى 1979 . أما على صعيد التجارة فلقد تحققت أكبر زيادة فى التدفقات التجارية بين الدول المتقدمة بنسبة 80 % بين دول مجموعة السبعة(2) .

وتشير الإحصاءات إلى أنه بعد خمس سنوات من تنفيذ اتفاقية المنسوجات لم يتجاوز نمو نصيب الدول النامية فى تجارة النسيج

---

(1) أحمد سيد مصطفى : تحديات العولمة والتخطيط الإستراتيجى ، ص 18 .

(2)عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 114 .

العالمية 4.3 % ، فى حين زادت صادرات الدول الصناعية بمعدل نمو سنوى يلغ 9 % .

وتعد ظاهرة العولمة أكثر الظواهر التصاقاً بالنشاط الإقتصادى بصفة عامة والنشاط المصرفى بشكل خاص ، وعلى الرغم من أن العولمة كظاهرة إنسانية ، لها جوانبها السياسية ، والإجتماعية المتنوعة ، فإنها مصرفياً قد اتخذت أبعاداً ومضاميناً جديدة ، جعلت البنوك تتجه إلى ميادين وأنشطة غير مسبوقة ، وأدت إلى انتقالها من مواقف وتصورات نشاطية ضيقة ، إلى أنشطة وتصورات واسعة ممتدة من أجل[1]:

أ)- تعظيم الفرص .　　　　ب)- زيادة المكسب .

ج)- تدعيم الثقة بجوانبها الحاضرة فى الوعى الحاضر وكذا بآفاقها الواعدة إليها فى المستقبل .

على أية حال ، فإنه مهما بلغت سطوة الدول المتقدمة ، وفى صدارتها الولايات المتحدة ، ومهما ووصل إليه تحكمها فى آليات الإقتصاد العالمي ، فإنها – من وجهة نظري- ليست مطلقة اليدين تماماً. فالتنافر بين الدول الغنية وتضارب المصالح بينها، بل وتنافر المصالح داخلها ، ومقاومة البلدان النامية لمخططات البلدان الغنية ، بل ومقاومة قطاعات واسعة من أبناء البلدان المتقدمة نفسها لأسباب عقدية

---

(1) محسن أحمد الخضيرى : العولمة الإجتياحية ، ص 254 .

ومصلحية وإنسانية ، كل ذلك يضع قيوداً على عمليات العولمة الإقتصادية، ويجعل مسارها متعرجاً بدرجة ما.

يضاف إلى ذلك أن معظم التنبؤات البحثية تكاد تجمع على أن قضية الفقر ستظل تمثل أحد أهم التحديات الفعلية، خاصة فى عصر العولمة الراهن، وفى ظل آليات تدويل الإقتصاد إنتاجاً وتوزيعاً واستهلاكاً، تلك التحديات التى يتعين على دول العالم مواجهتها، خاصة فى الجزء الجنوبى من العالم[1]، فلقد أصبح واضحاً أن ظاهرة الفقر والتفاوت المعيشى منتشرة بصورة ملحوظة ومقلقة مما يشكل تهديداً مستمراً لبنية هذه الدول، بل وأصبح يشكل تهديداً فعلياً للأغنياء فى دول العالم المتقدم ذاته. لقد تبين فى الواقع أن النمو الإقتصادي وجهود التنمية التى بذلت فى السنوات الأخيرة فى المجتمعات غير الرأسمالية لم تؤدّ إلى نتائج ملموسة فى الحد من دوامة الفقر، أو تخفيض أعداد الفقراء أو سد الإحتياجات الأساسية لملايين من البشر الذين يعيشون الحرمان البشرى أو تحت ما يسمى بخط الفقر[2] .

ومن المهم التسليم بأن التجارة والإستثمار الأجنبيين مرتبطان بفعل عوامل اقتصادية أساسية تتراءى فى حساب الدخل القومى . وبحكم التعريف ، فإنه فى أى فترة زمنية ينبغى أن يتساوى رصيد

(1) friedman, Jonathan, Cultural Identity & Global Process, p. 159.
(2) Ibid, p. 161.

الأمة فى " حسابها الجارى " – الذى يشمل كلاً من التجارة ومدفوعات التحويلات الخارجية المختلفة – مع رصيدها فى " حساب رأس المال " – التدفق الصافى للأصول إلى البلد ومنه – ولا يتراءى التطابق المحاسبى بين الحساب الجارى وحساب رأس المال بصورة تامة فى الإحصاءات الحكومية ، التى تبين عادة وجود فرق بين الإثنين . ومع ذلك ، فإن الحساب الجارى وحساب رأس المال يتحركان بالترادف تقريباً .

يتضح من كل ما سبق أن العولمة لم تترك جانباً إلا وتعرضت له ، وعرضت أبعاده المحلية ، بل وحاولت تدميره محلياً ليكون سوقاً لها عالمياً، ومن ثم فإن لعولمة الإقتصاد آثار سلبية على قيم وسلوكيات الفرد بل والمجتمع، فما هى حقيقة الآثار الإجتماعية للعولمة ؟ فهل هى سلبية على طول الخط أم لها آثار إيجابية على سلوكيات الفرد والجماعة ؟

رابعـــــــــاً : العولمـــة الاجتماعيـــة:

لقـــد ساعدت العولمة والأسئلة التى تطرح حول دور الدولة فى إعـــادة توزيع الموارد، بالإضافة إلى تقلص دورها فى كثير من جهات المسئولية الإجتماعية والسياسية، ساعد كل ذلك على تأكيد ظهور ممثلين جـــدد تُسـمع أصـــواتهم لأول مرة، فهم يتحركون ويجتمعون للمطالبة بحقـــوق جديـــدة مـــثل حقـــوق المشردين، والشباب، والكبار ، وذوى الاحتـــياجات الخاصـــة، وحقوق تنفس هواء نظيف، وشرب ماء نقى، وتـــناول طعام غير ملوث بالمبيدات. ففى بعض مدن أمريكا الشمالية، نظم العمال الذين يغسلون زجاج السيارات جماعات للدفاع عن حقوقهم ضد ما يتقاضونه من المال القليل. وقد ساعدت مثل هذه المطالبة على تحديث الكثير من البنود فى البيان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948 .. ومن هذه المطالب أيضاً، الحق فى حياة صحية بدون الهندسة الوراثـــية، والحـــق فـــى العـــيش فى بيئة نظيفة تعكس التقدم العلمي والتكنولوجى.ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : من ذا الذي له الحق فى السيطرة على فوائد العلم والتكنولوجيا ؟ ومن يقرر كيفية استخدامها؟ ولخدمة أية أهداف ؟ ولمصلحة من ؟

إن العولمة– كمفهوم – تشير إلى ضغط العالم وتصغيره وتركيز الوعـــى بـــه ككـــل علـــى المستوى الحضارى والمجتمعى والإقليمى والفـــردى، فقد اتجهت القوى الإجتماعية من تجمعات أسرية وقبلية إلى

تجمعـــات قومـــية ودولية . ومن ثم فقد أحدث تيار العولمة مرحلة عدم اســـتقرار اجـــتماعى واسع، ومن مظاهره انتشار بعض أنماط السلوك الإجتماعى الغربى(1) .

وتزعم العولمة أنها تحترم مبدأ الحقوق الطبيعية للفرد وتنهى عصر القمع ، فمثل هذه الأمور تعد من الأهداف الرئيسة الظاهرة للعولمة، وقد أصبحت تتمتع بحماية دولية ومحلية .

إن وثيقة مؤتمر الأمم المتحدة عن السكان والتنمية – الذى عقد فى القاهرة فى سبتمبر 1994– يمكن أن تقرأ على أنها انعكاس وتعبير مباشر عن مغزى العولمة و " حضارة السوق " ، دع كل شئ لقوى السوق وخلّص الأفراد ، ذكوراً وإناثاً ، من قيود التقاليد والدين ، واتركهم " أحراراً " ليقعوا " باختيارهم " فى قيود نظام السوق . وكذلك دع المرأة تخرج من سجن العرف والتقاليد لتدخل سجن السوق " بمطلق الحرية " ، ودع الأولاد والبنات يمارسون الجنس منذ العاشرة ، وأياً كان نوع هذه الممارسة طبيعياً أو غير طبيعي ، أخلاقياً أو غير أخلاقى، فهم فرائس سهلة لقوى السوق لتعظم الأرباح(2).

وهذا الهدف من أهم أهداف العولمة الغربية، فالفرد حين يكون متحرراً من قيود الأسرة والدين والوطن بل والأخلاق عامة ، يكون فى

---

(1) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 60 .

(2) جلال أمين : العولمة ، ص 140 – 141 بتصرف.

ذلك الوقت فريسة سهلة المنال لقوى السوق وغيرها من القوى الأخرى!

عندما تتجرد المجتمعات من ذاتيتها ، تصبح مؤهلة لإكتساب هوية جديدة هوية أكثر إتساعاً ، وأوسع مدى ، وأكثر قبولاً عن الشخصية السابقة ، حيث أن المجتمعات فى ظل العولمة ، أو عولمة المجتمع هى إسلاب وعى البشرية وإرادتها لصالح قوى عظمى مهيمنة على الوعى ، طوفان من المعقول واللامعقول، أو من السلوكيات والتصرفات الغربية الجديدة التى أصبحت بحكم انتشارها معتادة ، بل وفى بعض الأحيان والبلدان، مألوفة.

لكن فى ظل هذه الصورة بين البيانات التاريخية والإنثروبولوجية أن هناك سبلاً شتى لبناء الوجود الإجتماعى ، وبالتالى فهناك تراكيب عديدة للنظام الكونى . وهذا التنوع لا يمثل مشكلات كبرى طالما أن التواصل بين المجتمعات مقيد والتنوع الداخلى محدود . وعندما تحدث فإن المجتمعات القديمة تحل هاتين المشكلتين بتأكيد الحدود بين الجماعات الاجتماعية . كما أن الإنتماء لجماعة مجتمعية ما معناه اتباع دين تلك الجماعة . وفى المجتمعات القديمة الأكثر تعقيداً أو المنقسمة إلى جماعات مكانة طبقية ، كان الانتماء الدينى والانتماء لجماعة اجتماعية لايزال متطابقاً فى الغالب ، إلا أن جماعات المكانة السائدة كانت تحاول عادة أن تجعل دينها مميزاً للمجتمع كله وعلى شكل علم يجعل قواعدها الأخلاقية هى المقياس الإفتراضي لكل السلوكيات ،

وذلك سعياً وراء التعبير عن سيطرتها على تنوع اجتماعى أكبر[1]. وكان الإنتماء للجماعة ومعاييرها المحددة لايزال يرتبط بالنظام الكونى، إلا أن هذا الإرتباط يقال إنه ذو صلة بتنوع أكبر من عوالم الحياة الحقيقية. وقد نجمت عن ذلك ضغوط التجريد ، وعولمة القواعد الأخلاقية أفرزت بدورها كونيات أكثر توحداً وهرمية أولاً على هيئة هياكل، هرمية تحتل الآلهة الخيرة مكان القمة فيها ، ثم على شكل رؤى توحيدية أو شبه توحيدية . وكانت هذه الرؤى إما ترابط بين الخير أخلاقياً والمتسامي كما فى الأديان الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية والإسلام) ، أى الدين ذو الطبيعة الأخلاقية البحتة، أو تفترض نطاقاً فوق أخلاقى يتجاوز الخير والشر كما فى ديانات التاو أو البرهمية أو النيرفانا[2] .

إن أزمة المجتمع الرأسمالى فى إطار العولمة أزمة حقيقية . ويرى " ليستر ثورو " فى كتابه " مستقبل الرأسمالية Future of Capitalism " : " إن طبقة البروليتاريا ليس لها أهمية كبيرة ؛ فهى فى رأيه لا تشكل خطر القيام بثورة ، وهم فى الولايات المتحدة على أية حال من الفقر بحيث لا يشاركون حتى فى التصويت "[3] . ومن ثم نجد

(1) Esposito. Johnl, Islam and Politics, Syracuse University 1987, p. 114.
(2) Stark, Rodney and Bainbridge, William Sims; A theory of Religion. New York 1987, p. 114.
(3) حسين كامل بهاء الدين : الوطنية فى عالم بلا هوية ، ص 166 .

البعض يتحدث عن العولمة من منظور الصراع الطبقى .. ويقولون إن الصراع الطبقى بين من يملكون ومن لا يملكون انعكس على الدول فيما بعد العولمة ، بين غنيها وفقيرها ، شمالها وجنوبها ، من يملكون أسباب القوة الإقتصادية والمحرومين منها ، من تتوافر لهم أسباب الوفرة والإزدهار والمحرومين من كل هذا . لهذا فإن الصراع الطبقى الدولى فى رأى هؤلاء سيقضى على هذا النوع من العولمة الذى يقسم العالم إلى أغنياء وفقراء وصولاً لعالم موحد يتحقق فيه قدر كبير من المساواة، ليس بين الناس فقط ، وإنما أساساً بين الدول(1).

ومن الواضح أن الآثار الاجتماعية للعولمة، مرتبطة من وجهة نظرى بما حدث من تغيير فى هياكل الإقتصاد العالمى، فالطرق التى أجبرت بها المؤسسات المالية وعلى رأسها صندوق النقد الدولى والبنك الدولى العالم الثالث، منذ عام 1989على تسهيل هذه التغييرات، يكشف عن آثار نظـــام مالـــى جديد يتغذى على الفقر الإنسانى وتدمير البيئة،ويولد الفصل الإجتماعى ويشجع العنصرية والنزعات العرقية، ويقوض حقوق المرأة .. وهذا كله يؤدى من وجهة نظرى إلى تفكك اجتماعى وفوضى اجتماعية محلية وعالمية .

ولقد تصاعدت فى السنوات الأخيرة خطورة التفاوت الصارخ بين البشر ، بين الأغنياء والفقراء ، ونجم عنها اشتداد التوتر والقلق ، وتصاعد العنف والإرهاب ، والجريمة المنظمة .. وقد أدى هذاإلى نمو

---

(1) إبراهيم نافع : إنفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة ، ص 51 .

الجريمة لتصبح أكثر الأنشطة الإقتصادية ربحية حيث يصل صافى ربحها إلى ما يزيد عن 500 مليار دولار سنوياً .. وأصبحت هذه الجرائم من القوة ومن النفوذ إلى الدرجة التى لم يعد بالإمكان معرفة ما إذا كان هذا الجهاز أو ذاك من أجهزة الدولة يكافح من أجل فرض القانون ، أم أنه يحارب ضد القانون بتكليف من المجرمين أنفسهم[1].

ذلك أن تلك الحقبة من تاريخ المجتمع الدولى المعاصر التى يطلق عليهـــا الآن " عصر العولمة " ، أو النظام العالمى الجديد قد انعكس أثرها فى مجال الجريمة المنظمة والجماعية بشكل ملحوظ واتسمت الجرائم الدولية بالخطورة الإجرامية نظراً لإسلوب ارتكابها الذى يتميز بالتنظيم والتكنولوجيا من خلال استخدام أساليب التكنولوجيا الحديثة والحاسبات والإنترنت والإتصال المباشر والسريع عبر الأقمار الصناعية ، وهى أساليب حديثة يصعب معها السيطرة أو الكشف عنها بسهولة[2] . ولعل أخطر جرائم العولمة تهريب المخدرات والإتجار فيـــــها وتهريب الأسلحة والمتفجرات وغسيل الأموال المتحصلة من جرائم، وهروب المطلوبين للمحاكمة إلى خارج حدود الدول بعد ارتكاب جرائمهم،وتهريب الأموال، وجرائم الفساد الحكومى والإدارى والصفقات السرية المشبوهة والدولية ، وتصدير الأغذية الفاسدة والمواد المشعة

---

(1) محسن أحمد الخضيرى : العولمة فى فكر وإقتصاد وإدارة عصر العولمة ، ص 32.

(2) محمـــد فهيم درويش : الجريمة فى عصر العولمة [وملف لأهم الظواهر الإجرامية وأشهر المحاكمات فى مصر] النسر الذهبى للطباعة ، 2000 ، ص 38.

وهى جميعها جرائم عابرة للقارات تقوم بها عصابات منظمة ويقودها شخصيات بارزة[1].

والجريمة ظاهرة اجتماعية ، حيث أنها – من وجهة نظرى ، تؤرق المجتمع وتهدد استقراره، كما أنها تحمّل الدولة خسائر فادحة..وأرى أن استئصال الأسباب التى تؤدى إلى الجريمة وتقود الفرد إلى الإجرام، أهم من القبض على الجناة بعد وقوع الجريمة .

ومن أهم الأسباب التى تؤدى إلى الجريمة – وأيضاً للعنف والتطرف والإرهاب –حالة الإغتراب والضياع التى يحسّ فى إطارها بعض الناس بالحاجة إلى الهروب ، طلباً للماضى فى صورة التطرف الدينى ، أو ما يقومون بالهرب إلى الخيالات فى صورة الإدمان أو بالهجرة من أوطانهم هرباً أو يأساً ، أو بالتخلص من الحياة ذاتها . " فهى هجرة زمانية نتيجة غربة مكانية " وإحساس بالعجز تجاه مجتمع لم يتفهموه أو فساد لم يطيقوه وتجاه ظروف لم يستطيعوا التغلب عليها.[2]

كذلك تراجع دور العملية الثقافية والإجتماعية ، وخاصة فى المجتمعات التقليدية والنامية ، تلك العملية التى كانت الأكثر عراقة وتأثيراً فى تطور وإدارة هذه المجتمعات ؛ وذلك بسبب الإختراق

---

(1) نفس المرجع ، ص 39 .

(2) حسين كامل بهاء الدين : التعليم والمستقبل ، ص 54 ، 55 .

الكاسح للعمليات الإقتصادية والإعلامية والثقافيـــة[1] : لقد بات واضحاً أن الإختراق الثقافى – خاصة فى ظل العولمة بآلياتها المعاصرة – يعمل على تهديد منظومة القيم الأصيلة ويشكل نوعاً من الإزدواجية الثقافية التى تجتمع فيها تناقضات الأصالة والمعاصرة مما يؤدى إلى تهميش أو تغيير ملامح الثقافة الوطنية.

ففى ظل المتغيرات العصرية المفروضة على الإنسان فى زمن العولمة ؛ فالإغتراب والفردية والمادية والإستهلاك الترفى هى سمات سائدة في مجتمعات عصر العولمة ، وخاصة فى مجتمعاتنا العربية من وجهة نظرى ، حيث تحولت الثقافة العربية إلى ثقافة من نوع جديد ربما تقترب من المفهوم الذى قدمه كارل بولانى فى كتابه المعنون [التحول الكبير] بحضارة السوق حيث يصبح كل شئ خاضعاً لشروط ولنظام السوق " حتى روح الإنسان نفسه "[2].

ومن ثم لقد كان للتغيرات الإجتماعية التى حدثت فى الربع قرن الماضى آثارها السلبية على المجتمعات ، حيث ظهرت فلسفات متباينة من الفكر المتطرف والمتعصب الذى يشكل خللاً بالقيم والمثل العليا التى يقوم عليها المجتمع والتى تعارف عليها الناس وجرت عليهم عاداتهم

---

(1) أحمد مجدى حجازى : الثقافة العربية فى زمن العولمة ، ص 27 .

(2) انظر فى ذلك : جلال أمين : ماذا حدث للمصريين ؟ تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن 1945 – 1995 ، 1998 ، ص 281.

وتقاليدهم ، حتى غدت تشكل صراعات تؤرق المجتمع وذلك لتناقضها مع القيم الإنسانية والدينية ، وتؤدى إلى انهيار تلك القيم بل انهيار المجتمع نفسه .

ولقد بدأت بعض السلوكيات الغربية ، فى السنوات الأخيرة ، تأخذ طابعاً عالمياً يتجاوز الحدود الجغرافية مما يؤثر سلباً فى المجتمعات الوطنية وفى تماسكها وتقاليدها . ومن ثم فالعولمة تتطلب قدراً كبيراً من المشاركة الأهلية غير الحكومية ، وهو ما يؤدى إلى حدوث صدام مع تقاليد بعض الدول النامية فى رعاية الدولة شبه الكاملة للمواطنين . وتتطلب العولمة كذلك استعداداً فردياً متميزاً للمبادرة وتحمل المخاطر ، وهو كثير ما يتعارض مع أسس التنشئة الاجتماعية لبعض دول العالم الثالث وبخاصة الدول العربية ، التى تجعل الفرد جزءاً من كل [1].

وفى إطار العولمة تجد الدولة نفسها مضطرة إلى تقليص برامج الرعاية الإجتماعية وبخاصة دعم غير القادرين وإلغاء التأمين على الطبقة الدنيا والأفراد الأكثر تعرضاً للمخاطر مما ينجم عنه تخلخل النسيج الإجتماعى . لقد عملت العولمة على الإحاطة بالمؤسسات التى تقوم فى العقود الماضية بحماية التوازن الإجتماعى الذى كانت تتولاه الدولة وقد أدى ذلك إلى البطالة وتهميش المجتمعات.

---

(1) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 60 ، 61 .

ومن ثم فإن العولمة تؤصل فكرة ارتباط الإنسان ، لا بالدولة القومية والمجتمع الوطنى ، بل بالعالم أجمع ، إنها تدفع الإنسان إلى الخروج والإنطلاق ، بل الإفلات من فكرة " المكان الضيق المحدود ، بل الإفلات من فكرة " المجتمع والوطن " إلى آفاق " العالم الكونى " .. وتكتسب بذلك علاقاته ومعاملاته مفهوم مختلف اختلافاً جذرياً عما هو معتاد قبل الدخول فى عملية العولمة حيث يمكن تسميتها – أى العلاقات الإجتماعية فى المجتمع العالمى – بأنها عملية استيراد قيم وأخلاقيات الدول المسيطرة المتمثلة فى أمريكا ودول أوروبا .

ونخلص مما سبق إلى أن العولمة تعمل على سحق الهوية والشخصية الوطنية وإعادة تشكيلها فى قالب هوية وشخصية عالمية يفقد فيها الفرد جذوره ويتخلى عن ولائه وانتمائه .

المبحث الثالث

نتائــــج الدراســـــة

بعد أن استعرضت كل جوانب موضوع الدراسة – من وجهة نظرى– فعلي الآن أن استخلص نتائجه من خلال الإجابة على الأسئلة الـتى طرحتها فى مقدمة هذه الدراسة، : وللإجابة عليها أطرح النقاط التالية :

– بينت الدراسة كيف أن الدين الإسلامي لم يكن مقتصراً على العـرب وحدهـم، ولا على مدينة محددة ولا على أمة معينة، بل جاء الاسلام موجهاً للناس كافة، وجاءت خطوطه متجهة مباشرةً إلى رسم دولـة عالمـية يسودها مبادئ هذا الدين الحنيف. ورأينا كيف أن هذه الدولة العالمية أو المجتمع الإسلامى الموحد، مجتمع عالمى بمعنى أنه مجـتمع غير عنصرى ولا قومى ولا قائم على الحدود الجغرافية، بل هـو مجتمع مفتوح لجميع بنى الإنسان، ومن ثم تملك جميع الأجناس البشـرية، وجميع الألوان، وجميع اللغات أن تجتمع فى حمى الإسلام وفـى ظـل نظامه الاجتماعى، وهى تحس آصرة الإنسانية، كآصرة وحـيدة تربط بينها جميعاً ، فـ " **إن هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون**" أمة واحدة بمعنى أنها عالمية فى عقيدتها وثقافتها واقتصادها وقواعدها ونظمها الاجتماعية، وعالمية فى مفاهيمها السياسية وغيرها مـن الـنواحى الحضارية ولقد أوضحت الدراسة أيضاً أن الرسالات السـابقة علـى الإسـلام، لم توجد فيها العناصر والمقومات التى من الممكـن أن تضـمن الـبقاء لأىّ مـنها، حيث اتسمت هذه الرسالات بالمحدوديـة فى المنهج وبالأطر الزمانية والحدود المكانية، فكان كل

رســـول يدعو إلى عقيدة أكثر إيجابية وتكاملاً، وكلما جاء رسول كان يبشر برسالة تأتى من بعده، وكانت الرسالتان الأخيرتان على يقين من مجـــيء خاتم الرسل الذي يرسى قواعد الحياة على أساس متين قادر على أن يجتمع عليه الخلق أجمعين، ومن هنا وجدت البشارات بمحمد (صـــلى الله علـــيه وســـلم) فى كتب اليهود والنصارى "**الذين يتبعون الرســـول النبـــي الأمـــى الـــذي يجدونـــه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل**". وقد دل وجود هذه البشارات على أن هذه الراسالات السابقة لم تحمل العناصر التى تضمن لها الإستمرارية والعالمية، وهو ما وجد فـــى رسالة الإسلام، خاتم الرسالات. الذي ينادى بنفسه رسالة عالمية للبشر كافة، فلم يجيء محمد (صلى الله عليه وسلم) رسولاً لقريش ولا لعـــرب الجزيرة، ولا للجنس السامى ، كما جاء المسيح (عليه السلام) لهدايـــة خراف بنى إسرائيل– كما قال –، إنما أرسل محمد إلى البشر كافة فى أقطار الأرض جميعاً. والإسلام يعد نفسه خيراً وبركة ورحمة للناس جميعاً :" **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**".

– وبالنســـبة لـــباقى تســـاؤلات الدراســـة الخاصـــة بالمبحث الإســـلامي، فإن الإجابة عليها يمكن أن تنحصر فى نقاط محددة فيما يلي :

– اســـتطاعت الأمة الإسلامية عندما امتدت خلافتها وترامت أطرافها أن تقدم للإنسانية نموذجاً للعولمة – وإن لم يكن المصطلح قد

المصـــطلح قد ظهر لديهم انذاك – يختلف تماماً عن النموذج الغربي المعاصـــر . فلقـــد ساد الإسلام الدنيا بمبادئ معينة لا يحملها إلا هو، ويصعب على أى إنسان مهما كانت جنسيته، وكانت فطرته سليمة أن يرفضها، لأن مبادئ الإسلام ببساطة هى مبادئ الفطرة، فالإسلام يقرر مـــبدأ الأخوة الإسلامية التى تقوم مقام الجنس ومقام الوطن، بل مقام الـــدم ومقام النسب، والحق أن أواصر الأخوة فى الله هى التى جمعت أبـــناء الإسلام أول مرة ، وأقامت دولته، ورفعت رايته، وعليها اعتمد رســـول الله (صـــلى الله علـــيه وسلم) فى تأسيس أمة متحابة فى الله، وملتقـــية علـــى شـــعائره، مـــتآلفة القلوب على نصرته، وملتقية على شـــعائره، وتلك نعمة عظيمة من الله منَّ بها على عباده وجعلهم أخوة فى مشارق الأرض ومغاربها "**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فـــألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ..** " فهل تستطيع العولمة الغربية المعاصرة أن تقدم مثل هذا النموذج الرباني ؟!.

– إن عالمـــية (عولمـــة) الإســـلام تحرص على التمييز بين المســـلمين ولكـــن فـــى المراتـــب والدرجـــات ، لا بحسب الأوضاع الاجتماعـــية أو الاقتصادية أو الجنسية، بل بحسب التقوى وحدها " **يا أيهـــا الـــناس إنـــا خلقـــناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ..** " . ومن ثم فلا يوجد تمييز بين أبيض وأسود وأصفر، وفى هذا شجب للتمييز العنصري وإعلاء لقيمة الإنسان . ويعتبر الإسلام أول دين سماوى يحمل راية استنكار التمييز

العنصـــري بين البشر، ولذلك انتشر وساد، ورفض أيضاً فكرة التمايز الطبقى، فتعاليم الإسلام ترفض استعلاء طبقة على أخرى، وتحكم فئة فـــى المجـــتمع أو فى نظام العمل، فقد أصبح الجميع فى ظل الإسلام بـــنعمة الله إخوانـــاً، ولذلك انتشر الإسلام وساد كنموذج عالمى فريد يحض على رعاية بنى البشر كمجتمع واحد، فيضع الخطوط العريضة للـــتكافل الإجتماعـــي باعتـــبار أن مواطـــنى هذا المجتمع أمة واحدة متماســـكة كالبنـــيان المرصوص يشد بعضه بعضاً. وقد ترددت هذه المعـــانى الإنســـانية والإجتماعـــية الجليلة فى كثير من آيات القرآن، واشـــتملت علـــيها نصـــوص الدعوة للإسلام، كرعاية الجار، والرأفة باليتيم، وإطعام المسكين، واحترام حقوق الغير، وبر الوالدين، وبالجملة ظهرت صورة التكافل الإجتماعى مشرقة وضاحة فى فريضة الزكاة، فهل تتضمن العولمة الغربية المعاصرة مثل هذه المبادئ السامية ؟!.

– إن عالمـــية (عولمة) الإسلام لا ولم تتعسف الأمور فمبادئ الإســـلام لا ولم تجبر أحد على اعتناقها، ولم يكلف المسلمون بإكراه غـــيرهم علـــى اعتناق عقيدتهم من حيث أنها الصورة الكاملة الشاملة الصادقة لدين الله الواحد فى الأرض، ولكنهم يتمسكون بما أعلمهم به ربهم من أنه **"لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى"**، وفى المقابل كلفهـــم بحامـــية المؤمنين حتى لا يُرَدُّوا عن دينهم، وكف القوة عنهم بالقوة حيث لا جدوى من الدعوى بالحسنى فى هذه الحالات.، وكلفهم بكفالة حرية الدعوة، وإقامة العدالة الكبرى فى الأرض وتمتع البشرية

بهـــذه العدالة فى كل ميادينها وكلفهم بعلاقة معينة فى مجال العلاقات الدولية بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى، حيث تقوم هذه العلاقات علـــى الســـلام وحســـن الجـــوار والمعاملة الطيبة واحترام الحقوق و المواثـــيق الدولـــية، ونـــبذ الحرب والعدوان إلا فى حالة الدفاع ورد الاعـــتداء الموجـــه إلـــى الأمة الإسلامية:"**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقـــاتلوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**" ومع ذلك "**وإن أحدٌ من المشـــركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بـــأنهم قـــوم لا يعلمون**". ومعنى ذلك أن تحافظ عليه ويكون أمانة فى عـــنقك حـــتى يغادر حدود الدولة الإسلامية إلى مكان يأمن فيه على نفسه، هذا المبدأ من أسمى مبادئ الإسلام التى شجعت كثيراً من غير المسلمين على الدخول فيه واعتناق مبادئه. هذا على المستوى الفردى، أما على المستوى الدولى فإن علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول تقوم أيضاً على أساس البر والعدل فى المعاملة طالما أن هذه الدول لم تهاجم ديار المسلمين، فيقول سبحانه وتعالى: "**لا ينهاكم الله عن الذين لـــم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**".

فمـــن اعتدى على دين الله أو على الإسلام أو على المسلمين، فهـــنا ينقلـــب الأمر إلى قوة مرهبة، مرعبة، مدمرة معدّة سلفاً امتثالا لأمـــر الله "**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون بـــه عـــدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**".

وفى الحرب أمر الله المسلمين بالإستجابة إلى السلام فور أن يجنح له العدو" **وإن جـنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**" . والإسلام دين السـلام ولكـن فـى حالة عدم الاعتداء. والسلام الذى يقدسه الاسلام ويدعوا إليه يتفق تماماً مع الروح العامة له، والتى تتمثل فى "السماحة" وسماحة الإسلام مبذولة للبشرية كلها، لا لجنس ولا لعقيدة معينه منها إنمـا هـى لبنى أدم لكونه إنسان. وهذه الروح قد مكنت الإسلام من إقرار السلام فى الأرض وقت أن ملأ دين الله الأرض من مشرقها إلى مغربها عدلاً بفضل تأليفه بين الأجناس والألوان و من تنقية الحياة من التحاسد الفردى، والتطاحن الطبقى، التناحر العنصرى، وكف الحروب التى تقوم على تلك الأسباب.

يتضح مما سبق أن الإسلام رسالة عالمية بعثها الله للناس كافة، وقـد تحققـت عالمـية هذه الرسالة وقت أن تمسك المسلمون بجميع مـبادئها.وقـد أظهـر الإسلام والمسلمون ما فى دين الله من عناصر العالمـية، وبينوا أن تلك العناصر تستطيع الإستجابة لمتطلبات الواقع الـتى تتضـمن متغيرات الزمان والمكان، وتستطيع أيضاً التكيف مع الإسـتمرارية الحضارية بنفس الدرجة التى تحافظ فيها على أصالتها، وجوهـرها كعقيدة غراء تتفق مع فطرة الإنسان السليمة فى كل زمان ومكان. وهذا ما جعل الإسلام فعلاً رسالة عالمية وموجه للعالمين، وقد عاشـت الإنسـانية نموذج تلك العالمية (العولمة) فى فترة غابرة من حـياتها. وتختلف عالمية(عولمة) الإسلام تماماً عن النموذج الغربى

للعولمـــة، ويمكـــن الوقـــوف علـــى مظاهر هذا الاختلاف فى النقاط المعروضة فيما يلى:-

وتدعـــو العولمـــة الغربـــية إلى ثقافة كونية أو عالمية تحتوى منظومة من المعايير الخاصة لفرضها على العالم أجمع، بغض النظر عن المفهوم الأخلاقى أو العلمى لتلك المعايير، وعلى هذا تمثل العولمة تحدياً ثقافياً ذو طابع إرتقائى خاص قائم على الإجتياح الثقافى من أجل فقـــدان الـــدول الصغيرة ثقافتها، ومن أجل الإنقسام الداخلى وظهور الشـــروخ الثقافـــية الحضـــارية، وذلك بمحاولة إحلال مفاهيم الثقافة العلمانية الغربية مكان مفاهيم الثقافات الأخرى وخاصة مفاهيم الثقافة والحضارة الإسلامية فى المجالات المختلفة.

– تـــتحدى العولمة الغربية الدولة القومية لتفتح حدودها لنوع جديـــد مـــن التناقض الحر، حيث تنطوى العولمة على تفتيت الحدود الوطنية، ومن ثم إضعاف السلطة الوطنية وقدرتها على تطبيق القوانين الوطنـــية داخل تلك الحدود. ومن الواضح أن التطورات والإفرازات المجتمعـــية علـــى المستويات المختلفة لمحلية والوطنية والدولية تقود الـــيوم نحـــو بلـــورة نخبة عالمية سيكون بإمكانها التحكم عن بعد فى مجرى الأمور فى الدول الأقل قدرة على الصمود ومواجهة التحديات. وقـــد ظهرت بالفعل تجليات وفاعليات تلك النخبة وتجلياتها فى بعض دول العالم، ومنها بعض الدول العربية والإسلامية. فى ظل هذا الجو تصبح الدولة عاجزة عن القيام بدورها فى إعادة توزيع الناتج القومى

بطـــريقة أكـــثر عـــدلاً، وتصـــبح عاجزة عن حماية مصالح الشرائح المهمشـــة، وتنتهى بأنها لا تستطيع أن تحمى السلام الاجتماعى نفسه على أرضها. وهذا الوضع هو التطبيق الواقعى لأهداف العولمة، والتى أهمهـــا، سحق الهُوية والشخصية الوطنية المحلية وإعادة صهرها فى اللاهويـــة وشخصـــية عالمية بحيث يفقد الفرد مرجعيته ويتخلى عن انتمائه وولائه، وينفصل عن جذوره، ويتأثر بقاء سلطة الدولة القومية بضربات معاول العولمة التى دفعت إلى العالم بأثقال الشركات عابرة القـــارات، ومتعددة الجنسيات، الأمر الذى يعانى معه الكثير من الدول النامـــية ســـوء الأوضـــاع الداخلـــية التى لا تؤهلها لمواجهة تحديات العولمـــة، ومن ثم فهى مهددة بخطر إنقاص سيادتها بنقلها إلى كيانات دولية وإقليمية أكبر منها.

إن الـــتجارب التـــنموية الناجحة فى منتصف القرن العشرين تعلمـــنا أن هـــناك اختـــيارات سياسية مختلفة تساعد على تحطيم قيود الـــتخلف، وتسمح للمواطنين بمساحة سياسية كافية لرسم طريقهم على الحدود الخارجية، وقد تم إعداد الكثير من برامج العولمة التى تحرمنا من هذه المساحة.

- فـــى ظـــل العولمة الغربية لا تشكل الدول الصغرى- الأقل نمـــواً أو تطوراً- قوة إنتاجية حقيقة إلا بارتباطها المفروض بالمراكز الرأســـمالية الـــتى تســـيطر علـــيها، والتى تُنقص من السيادة الكلية والســـيطرة للدولـــة علـــى أراضيها ومنشآتها. وطبقاً لإتفاقية الجات

سيتحول العالم إلى سوق كبيرة مفتوحة تغذى احتكارات الدول المتقدمة للحصـــول على أكبر عائد على حساب الدول النامية، حيث تفتح تلك الإتفاقية أسواق الدول النامية أمام صادرات الدول الغنية بما يسمح لها بالقضـــاء علـــى القاعدة الصناعية لهذه الدول من خلال المنافسة غير العادلـــة، الأمـــر الذى يشير إلى أن قضية الفقر ستظل تمثل أحد أهم الـــتحديات الفعلية فى ظل تدويل الإقتصاد إنتاجاً وتوزيعاً واستهلاكاً، ولقد تبين فى الواقع أن النمو الإقتصادى وجهود التنمية التى بذلت فى الســـنوات الأخـــيرة فـــى المجتمعات غير الرأسمالية لم تؤد إلى نتائج ملموسة فى التقليل أو الحد من دوامة الفقر، أو تخفيض أعداد الفقراء، أو سد الإحتياجات الأساسية لملايين من البشر الذين يعيشون الحرمان البشرى أو تحت ما يسمى بخط الفقر.

إن أساليب ومخططات العولمة فى مفهومها الغربي يجعل من الصـــعب توفـــيق الحياة بين عالمين اثنين ظهرا فى صحوة العولمة، الدول الصناعية الكبرى فى جانب، والدول الفقيرة فى الجانب الآخر. ففى الفئة الأولى ازدادت الصادرات عشرة أضعافها منذ عام 1950، وارتفعـــت الإســـتثمارات الأجنبـــية بسرعة فائقة، وتصدرت مبيعات الشـــركات المـــتعددة الجنســـيات صادرات العالم، وارتفع معدل تدفق التـــبادل الأجنبي من 15 مليار دولار يومياً عام 1973 إلى أكثر من 1.3 تريلـــيون دولار يومـــياً حالياً. وعلى الجانب الآخر نجد الضعف الإقتصـــادي فـــى الـــدول النامـــية والفقـــيرة، ويسود عدم الإستقرار

الإجتماعي، ويخيم الفقر المدقع على نحو 1 2 مليار نسمة، ويوجد نحو 140 مليون عامل من 4 مليار إجمالى القوى العاملة، عاطلين عن العمل، ويتركز السواد الأعظم منهم فى الدول النامية. هذا بالإضافة إلى أن عدم المساواة ظهرت جلية واضحة بين)وداخل الدول، فنتج عنها انتشار الصراعات والحروب، ونقصان مرافق البنية التحتية..إلخ.

ومن الحقائق الثابتة والمعروفة حالياً أن أكثر من 1.2 مليار نسمة من مجموع سكان العالم، أى شعب واحد من كل خمسة شعوب يعيش الفرد فيه على أقل من 2 دولار يومياً. فهل يكفى هذا المبلغ متطلبات الفرد الضرورية من مأوى، وطعام، وماء، وملبس، وعناية صحية ملائمة.. إلخ إن الأمر المثير للإزعاج هو أن هذا الحال يوجد فى وقت تتباهى فيه بعض أجزاء العالم بالرفاهية الخيالية، والتقدم التكنولوجى الهائل، والثروات المادية الطائلة إلى الدرجة التى وصل معها البعض إلى التباهي بأنهم بالعلم يستطيعون استنساخ مخلوق ! وهذا خلل تاريخي عميق يعيشه العالم حالياً، ويرجع إلى تواجد كل من الثروة الهائلة، وأيضاً (القذارة) جنباً إلى جنب

– من مظاهر العولمة الغربية على المستوى الإجتماعى انتشار أنماط السلوك الغربى بمساهمة ثورة الإتصالات والمعلومات والتقدم المتزايد فى مجال الإعلام بغرض تجريد المجتمعات من ذاتيّتها لكى تصبح مؤهلة لإكتساب هوية جديدة أكثر اتساعاً وأوسع مدى، حيث تُسلب من المجتمعات فى ظل العولمة إرادتها لصالح قوى عظمى

مهيمنة علـــى الوعـــي، ومن الواضح أن الآثار الإجتماعية للعولمة مرتبطة بما حدث من تغيير فى هياكل الإقتصاد العالمى، ويكشف هذا التغير عن آثار نظام مالى جديد يتغذى على الفقر وتدمير البيئة، ويولد الفصـــل الإجتماعى، ويشجع العنصرية والنزاعات العرقية، وهذا كله يـــؤدى إلـــى تفكك اجتماعى وفوضى اجتماعية محلية وعالمية بدأت بشائرها فى الظهور، ففى السنوات الأخيرة تصاعدت خطورة التفاوت الصـــارخ بيـــن الأغنـــياء والفقراء، ونجم عنها اشتداد التوتر والقلق، وتصـــاعد العنف والإرهاب والجريمة المنظمة التى أصبحت من أكثر الأنشطة الإقتصادية ربحية حيث يصل صافى ربحها إلى ما يزيد عن خمســـمائة ملـــيار دولار ســـنوياً! ولعل أخطر جرائم العولمة تهريب المخـــدرات والإتجـــار فيها، وتهريب الأسلحة، والمتفجرات، وغسيل الأموال المتحصلة من جرائم، وهروب المطلوبين للمحاكمة إلى خارج حـــدود الـــدول، وجرائم الفساد الحكومى والإدارى، وتصدير الأغذية الفاســـدة والمواد المشعة، وهى جميعها جرائم عابرة للقارات تقوم بها عصـــابات مـــنظمة محلية ودولية. ومن أهم الأسباب التى تؤدي إلى الجـــريمة – بـــل إلـــى العنف والتطرف والإرهاب – حالة الإغتراب والضياع التى يشعر فى إطارها بعض الناس بالحاجة إلى الهروب من الواقع، وكذلك تراجع دور العملية الثقافية – الإجتماعية، وخاصة فى المجـــتمعات التقلـــيدية والنامية، تلك العملية التى كانت الأكثر عراقة وتأثـــيراً فى تطور وإدارة هذه المجتمعات، وذلك بسبب الإختراق

الكاسح للعمليات الاقتصادية والإعلامية والثقافية كوسائل فاعلة للعولمة الغربية.

تلـك كانـت أهـم الفـروق والإختلافات بين عالمية الإسلام والعولمـة الغربـية، والـتى يتضح منها أيهما أصلح وأنفع للإنسانية والإنسـان أياً كان جنسه أو لونه أو دينه، أيهما يحقق الوجود الحقيقى للإنسان من حيث كونه إنساناً بالفعل، وذلك وصولاً إلى الغاية النهائية التى خلقه الله من أجلها، وخلق له العالم بما فيه كوسائل مساعدة على تحقيق تلك الغاية الإلهية.

والله أعلى وأعلم.



المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

1- القرآن الكريم

2- ابـــن ماجـــة (أبـــو عبد الله محمد: بن يزيد القزوينى) : ســـنن ابن ماجة، تحقيق محمد فــؤاد عبد الباقى، د. مصطفى محمد حسين الذهبى، 5 أجزاء، ط الأولى، دار الحديث، القاهرة 1419هـــ - 1998م.

3- أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى) : ســـنن أبى داود، 4أجزاء، دار الحديـــث، القاهرة 1408هـــ- 1988م.

4- البخارى (أبو عبد الله محمد بن: اسماعيل) : صـــحيح الـــبخارى تحاشـــيه السّـــندى، 4أجزاء، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (د.ت).

5- الـــترمذى (أبو عيسى محمد بن: سورة) : ســـنن الترمذى،5أجزاء، دار الفكـــر، بـــيروت 1414هـــ- 1994م.

6- مســـلم (أبو الحسن مسم بن: الحجاج بن مسلم) : صـــحيح مسلم بشرح النووى، 7أجـــزاء، ط الأولـــى، دار

المــنار، القاهرة 1418هــ-1997م.

7- أبن كثير (أبو الفداء) : الــبداية والنهاية، تحقيق أحمد عــبد الوهاب فتيح، 14جزء، دار الحديــث، القاهرة 1413 هــ- 1992م.

8-ابــن هشــام (أبو محمد عبد الملك بن هشام) المعافرى : السيرة النبوية، تحقيق د.محمد فهمـــى السرجانى، 4 أجزاء، المكتــبة التوفيقــية القاهــرة (د.ت).

ثانياً : المراجع العربية والمترجمة إلى العربية

9- أبو الأعلى المودودى : الإسلام والمدنية الحديثة، طبعة القاهرة، 1978.

10- أبو بكر الجزائرى : عقيدة المؤمن، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت).

11- إبراهيم نافع : انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة، مركز الأهرام للترجمة والنشر 2002.

12- دكتور احمد سيد مصطفى : تحديات العولمة والتخطيط الاستراتيجي برؤية مدير القرن الحادى والعشرين، طبعة 2000.

13- دكتور أحمد عرفة، سمية شلبي : العولمة والنظرية ض في العربية، نظرية دحر الفراغ- الرسالة للطباعة، طنطا (د.ت).

14- دكتور أحمد مجدى حجازى : الثقافة العربية فى زمن العولمة، دار قباء للطباعة والنشر

والتوزيع 2001.

15- دكتور أحمد محمود صبحي : هاؤم إقرؤا كتابيه، محاولة لتجديد الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية 2002.

16- دكتور آدم مهدى أحمد : العولمة وعلاقتها بالهيمنة التكنولوجية، الشركة العالمية للطباعة والنشر، القاهرة 2000.

17- أسامة المجدوب : العولمة والإقليمية، مستقبل العالم العربي فى التجارة الدولية، الدار المصرية اللبنانية 2000.

18- السيد الشربيني الشرباصي : مذاهب وشخصيات، القاهرة (د.ت).

19- السيد ياسين : العولمة والطريق الثالث، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة 1999م.

20- بهاء شاهين : العولمة والتجارة الإلكترونية،

رؤيــة إسلامية، الفاروق الحديثة للطــباعة والنشـــر، القاهــرة 2000م.

21- بــول هيرست، جرهام تومبسون : مُساءلة العولمة، الاقتصاد الدولى وإمكانات التحكم، ترجمة إبراهيم فتحى، المشروع القومى للترجمة (100) المجلــس الأعلى للثقافة 1999م.

22- دكتور جلال أمين : العولمة، سلسلة أقرأ، عدد (636)، دار المعارف 1998م.

23- دكــتور حسن إبراهيم حسن : تــاريخ الإسلام السياسي والديني والــثقافى والاجتماعــي، دار الجــيل، بيروت، مكتبة النهضة المصــرية، ط الــرابعة عشــر 1416 – 1996م.

24- حسين فوزى النجار : الإســلام والسياســة، القاهــرة (د.ت).

25- دكـــتور حســـين كامل بهاء الدين : التعليم والمستقبل، دار المعارف، القاهرة 1990م.

26- ------------ : الوطنـــية فـــى عـــالم بلا هوية، تحديات العولمة، دار المعارف، القاهرة 2000م.

27- دكـــتور خـــالد أحمـــد حربى : نشـــأة الإســـكندرية وتواصـــل نهضـــتها العلمية، ملتقى الفكر، الإسكندرية 1999.

28- رونالد روبرتسون : العولمـــة، الـــنظرية الاجتماعية والـــثقافة الكونـــية، ترجمة أحمد محمـــود ونـــور أمين، المجلس الأعلى للثقافة 1998م.

29- دكتور سليمان الخطيب : أســـس مفهـــوم الحضـــارة فى الإســـلام، الزهـــراء للإعـــلام العربي، ط الأولى 1986م.

30- دكتور سمير محمد عبد العزيز : التكتلات الاقتصادية الإقليمية فى إطـــار العولمـــة، الكوميســـات

مجموعـــة 15 أوروبا الموحدة، المشـــاركة الأوروبـــية الإفريقية المتوسطة، مكتبة ومطابع الشعاع الفنية، الإسكندرية 2001م.

31- الشيخ سيد قطب : السـلام العـالمى والإسلام، ط التاسعة، دار الشروق 1409هـ - 1989م.

32- ------------ : نحـو مجـتمع إسـلامي، دار الشـروق، ط الثامـنة 1408 - 1988م.

33- دكتور عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر، دراسة تحليلية، الإسكندرية 2001.

34- عـبد الباسـط عـبد المعطى : التبعية الثقافية فى الوطن العربي "فى الآليات والمجالات والتفسير"، نـدوة الـثقافة العربية، الواقع وآفاق المستقبل، الدوحة 12-15 -إبريل 1993م.

35- عـبد الحكـيم حسـن العيلي : الحُريات العامة فى الفكر والنظام السياسي فى الإسلام، دار الفكر العربي 1403-1983م.

36- عبد الرازق السنهورى : فقـه الخلافة وتطورها، ترجمة ناديـة السـنهوري، ط الثانـية، الهيـئة المصرية العامة للكتاب 1992م.

37- عبد الرحمن تاج الدين : السياسـة الشـرعية والفقـه الإسـلامى، طـبعة القاهـرة 1952م.

38- دكـتور عصـام الدين محمد على : جذور الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية 1983م.

39- على جريشة : نحو نظرية للتربية الإسلامية، ط أولى القاهرة 1986م.

40- دكـتور عـبد المعطى، د.محمد جلال شرف : الفكـر السياسـي فـى الإسلام، شخصيات ومذاهب، دار المعرفة

الجامعية 2000م.

41- دكتور علي عبد المعطى : فلسفة السياسة بين الفكرين الإسلامى الغربي، دار المعرفة الجامعية 1998م.

42- دكتور علي عبد المعطى : المدخل إلى الفلسفة، دار المعرفة الجامعية 2000م.

43- مايك فيذرستون، وآخرون : ثقافة العولمة، القومية و العوملة و الحداثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، المشروع القومى للترجمة (132)، المجلس الأعلى للثقافة 2000م.

44- مايك فيذرستون. : محدثات العولمة، ترجمة عبد الوهاب علوب، مراجعة وتقديم د. جابر عصفور، المشروع القومى للترجمة (93)، المركز المصري العربي 2000م.

45- دكتور محسن أحمد الخضيري : العولمة مقدمة فى فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة، مجموعة النيل العربية 2000م.

46- ------------ : العولمة الاجتياحية، مجموعة النيل العربية2000

47- محسن فتحى عبد الصبور : أسرار الترويج فى عصر العولمة، مجموعة النيل العربية 2001.

48- دكتور محمد الجوهرى حمد الجوهرى : العولمة والثقافة الإسلامية، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة 2002م.

49- محمد رشيد رضا : تفسير المنار للإمام الشيخ محمد عبده، مطبعة المنار، القاهرة 1927.

50- دكتور محمد رؤوف حامد : الوطنية فى مواجهة العولمة، سلسلة أقرأ (647) دار المعارف، القاهرة 1999م.

51- محمد ضياء الريس : النظريات السياسية الإسلامية، ط الرابعة، دار المعارف 1967م.

52- الشيخ محمد الغزالى : خلق المسلم، طبعة القاهرة (د.ت).

53- ------------ : علل وأدوية، دار التوفيق النموذجية، ط الثانية، القاهرة 1405 - 1984م.

54- محمد فهيم درويش : الجريمة فى عصر العولمة (وملف لأهم الظواهر الإجرامية وأشهر المحاكمات فى مصر) النسر الذهبي للطباعة 2000م.

55- محمد يوسف موسى : الأخلاق فى الإسلام، مؤسسة المطبوعات الحديثة (د.ت).

56- ميشيل تشوسودوفيسكي : عولمة الفقر، ترجمة محمد مستجير مصطفى، كتاب سطور العاشر 2000.

57- هـــانس-بيتر مارتن، هار الدشومان. : فخ العولمة، ترجمة عدنان عباس علـــى، مـــراجعة وتقديم رمزى زكـــى اســـكندر، سلســـلة عالم المعرفة 238، اكتوبر 1998م.

58- ول ديورانت : قصـــة الحضـــارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2001م.

ثالثاً : المراجع الأجنبية .

59-Arjomand, said Amir : The Turban for the crown the Islamic Revolution in Iran, New York, Oxford 1988.

60-Akyuz,y. and corn ford, A : Controlling capital Movement ; Oxford university press 1995.

61-Bdudrillard, j : Selected Writing,ed. Mar-K poster, Stanford university, press, 1988.

62-Begesten, C.fred : Managing the world Economy of the future ; washing ton 1994.

63-David Held : Demo Cracy and the Global order from the Modern state to cosmopolitan Governancy, Washington 1995.

64-Espoito . Johnl : Islam and politics, sy – recuse university 1987.

65- friedman Jonathan : Cultural Identy and Global process, Gage Publications, London 1994.

66- lohan Balis & stevesmith : The Globalization of world Politics, and introduction to inter-national Relations, London 1997.

67- Muravchik, J : Exporting Democracy: Fulfilling American's Destiny, Washington, D.C: American Enter-press Institute press, 1994.

68- O, Neill, Joham : Five Bodies: The Human Shape of Modern Society, Ithaca: Cornell, university, Press 1985.

69- Paul Hirst & Graham Thompson : Globalization and the future of the nation state, London 1995.

70-Samuel , Rephael(ed) Patriotism : The Making and unmaking of British National Identity, Vol. I.I Minorities and Dutsiders, London and New York: Tledge (W.D).

71-Schitt, corf : The crisis of parlimanen tary Democracy, translated by Ellen Tennedy, Cambridge, MA and London 1988.

72-stark,Rodney and Bainbridge, William sims : Atheory of Religion, New York 1987.

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة